



رواية

مدرسة ميلر

(فريق القو _ المصممة الاولى)

رحمة نبيل



1 شارع حسن أبو زيد - الزاوية الحمراء - القاهرة

01019978066 - 01117130961

Citybooks20@gmail.com

مدرسة ميلر | المهمة الأولى

رواية - رحمة نبيل

رقم الإيداع 16585 / 2023

الترقيم الدولي 978 - 977 - 86841 - 6 - 2

الإهداء

• إهداء للغالية صاحبة أجمل بسمه وأرقى طلة،
إهداء لمن شاركتني أوجاعي قبل افراحي (إهداء
إلى أمي الغالية)

• إهداء للرفيق الأول والأوحد، للصديق الأوفى
في طريقي (إهداء إلى أبي)

• إهداء لكن من أسعد قلبي يومًا بكلمة لطيفة،
أو حتى مجرد بسمه رقيقة، إهداء لمن شجعني
على مواصلة مسيرتي، بعدما كدت استسلم (إهداء
لعائلتي الثانية، لكل قارئ كان بمثابة فرد من
عائلتي)

• إهداء لرفيقتي وصديقتي التي مهما اختلفنا
فهناك دائمًا طريق يجمعنا (إهداء لأختي العزيزة "
إيمان")

• إهداء لابنة العم الأجل والألطف، من كانت دائمًا
خير مشجع لي في جميع أركان حياتي، حتى وإن
لم تكن شغوفة بهذا الركن (إهداء لفاطمة حمدان)

المقدمة

مرحبًا بك عزيزي، إنه أنا "أسامة العو" والعو هنا ليست أداة تخويف، أو ذلك الوحش الأسطوري الذي لطالما استخدمه أبائنا لترهيبنا، بل هو وللأسف الشديد لقب عائلتي، حيث أن جدي الأكبر كان في قديم الزمان يعمل كجراح معروف، وكان في ذلك الوقت يُستخدم كأداة رعب تنافس "أمناء الغولة" و "أبو رجل مسلوخة"، كان جدي الأكبر من ذلك النوع القاسي الغليظ والذي كان يسير حاملاً مشرطه طوال الوقت كما لو أنه يحمل ميدالية شرفية، على كلٍ قد تتساءل عن سبب حديثي عن عائلتي وتردد في عقلك الآن "ما شأني وعائلتك؟؟؟" أو هل لعائلتي علاقة بما أنت مقدم على عيشه؟؟، حسنًا أنت لا شأن لك بعائلتي، كما أن عائلتي لا علاقة لها بأي شيء في الحقيقة، لكنني فقط أقص حكايتي عليك، حتى تُقدر مُعاناتي وتجد فيما بعد حجة لتصرفاتي الغريبة، لا أطيل عليك الحديث، أنا بعدما كبرت أصبحت واحدًا من أمهر وأذكى وأخبث وأكثر الفحققين مكرًا في أنحاء المعمورة، امتلك فرقة هي أشبه بتلك الفرق المخيفة المربعة وال..... حسنًا يكفي هذا، في الحقيقة أنا امتلك فرقة هي أشبه بـ "سرب من البط البلدي"؛ لذا عزيزي دعني أرحب بك في فرقتي الفتواضة وأدعوك لتخوض رحلة معنا في أولى مهماتك، ولنرى مقدرتك على كشف الحقائق، وبعدها نقرر إن كنا سنتكرم ونضمك لـ "سرب البط البلدي" أم أنك لا ترتقي لذلك؟؟

مرحبًا بك في فريق العو،

حيث لا مكان للأذكاء،

ولا مجال للتفكير..

تنويه:

جميع الأحداث في هذه الرواية وجميع الأسماء والمنظمات، هي من وحي خيال المؤلف، ولا علاقة لها بالواقع، حتى وإن تشابهت بعض الأسماء، فكلها في النهاية من وحي الخيال، وهذا العالم الذي أنت على وشك العيش به، هو عالم موازي، خُلق في رأسي يومًا وها أنتم على وشك الدخول إليه، إلى عالم جديد "حيث لا مكان للأذكىاء، ولا مجال للتفكير"

الفصل الأول

علبة بيضاء تلوح في الأفق، تحمل داخلها خلاصها من ذلك الجحيم الذي تحياه كل يوم منذ وطئت بقدمها ذلك المكان القذر، فقط كل ما عليها هو أن تبتلع كل ما تحتويه العلبة حتى تتخلص من ذلك الألم الذي يتغذى عليها يومًا بعد يوم، ابتلعت ريقها ببطء شديد وهي تمسك بطرف كم ثيابها تسير به على جبينها لتمسح قطرات العرق التي تزيّنه، وبتردد شديد فتحت تلك العلبة وهي تقربها من فمها شيئًا فشيئًا، بينما ضربات قلبها تعلو بشدة تغطي تلك الطرقات العالية على باب المرحاض الذي تقف داخله، حيث أنه المكان الوحيد الخالي من كاميرات المراقبة .

وصل لها صوت عالٍ يناديها أن تنتهي بسرعة فقد حان وقت النوم، لم تستمع لهم الفتاة وهي ترفع العلبة حتى تقابل فمها بإصرار شديد، تقاوم ارتعاش يدها واضطراب ضربات قلبها، تقاوم رعبها الفطري من الموت، تقاوم تلك الدموع الساخنة التي تحاول وبقوة جعلها تفيق من تلك الحالة التي تلبستها.

علت الأصوات بعدما شعرت الفتيات في الخارج بوجود خطب ما سبب تأخر زميلتهم لكل ذلك الوقت داخل المرحاض، لتصبح الآن المنافسة بين صوت خفقات قلبها التي تُصارع لإثبات نفسها أمام صوت طرقات الباب، هبطت دموع تلك الفتاة داخل المرحاض وقد بدأت شهقاتها تعلو مشاركة القلب في معركته ضد الضربات العنيفة على الباب، بينما إحدى الفتيات في الخارج تصرخ برعب وقد أدركت نية رفيقتها التي كانت تتحدث عنها الأيام السابقة:

" لا يا منار، اوعك تعمليها، افتحي الباب، افتحي الباب يا منار ابوس ايدك، مش ده الحل، مش ده

الحل"

لكن يبدو أن معركة الأصوات تلك انتصر بها صوت الشهقات رفقة القلب، فقد صفت تلك الأصوات أذان منار عن العالم الخارجي، لترفع العلبة بسرعة تسكبها كلها داخل فمها بسرعة، قبل أن تتراجع.

هنا وصمتت جميع الأصوات وصوت واحد فقط هو ما ارتفع في المكان؛ صوت الموت، دقائق قليلة مرت قبل أن يستمع الجميع لصوت ارتطام عنيف بالأرض علت على أثره صرخات مقهورة.

كانت أعين منار جاحظة للأمام وكأنها رأت بعينها ما لم تتخيله يومًا، رأت موتها يقترب منها بكل خبث، ثواني قليلة قبل أن تنغلق عينها ببطء ويتقهقر قلبها مُنسحبًا من ساحة المعركة، مشهزًا رايته البيضاء متوقفًا عن الخفقان للأبد لتندسل الستارة السوداء على رحلة منار في تلك الحياة مُنتقلة بذلك للمحطة التالية، الآخرة..

ضربات حذاء يتردد صداها في المكان بأكمله، خطوات رشيقة تنم عن صاحبها ذو الجسد العضلي، ينحرف يسارًا ويمينًا في ممرات عديدة، يعدل من وضع ساعته الأنيقة، ثم تمتد أصابعه الرفيعة تمسك على لياقة قميصه المرتب وبشدة والخالي من أي كسر صغير بعد كيه مرات ومرات، تحركت يده بخفة تنفض بضع ذرات وهمية من الغبار عن بنطاله، ثم تعود يده مجددًا لوجهه يتأكد من نظارته الشمسية، وهناك بسمة مغرورة ترتسم على فمه وهو يترفع عن إلقاء نظرة على أي شخص يقابله، ومن هم ليشغل باله بإلقاء مجرد نظرة عليهم، وهو "أسامة العـ"

لم يكمل تلك الخاطرة في رأسه وهو يسقط بعنف أرضًا، سقطة ضاعت معها كل تلك التدابير التي قام

بها منذ قليل، سقطة ضاعت معها كل تلك التصرفات التي كان يحاول بها بث هيئته وفرض هيمنته. استقبل أسامة الأرض بعناقٍ أشبه بعناق حميمي لشخص طال غيابه، حيث التصق وجهه بالأرض في مظهرٍ مُثير للضحك.

أغمض أسامة عينه بغضب شديد فهذه ليست المرة الأولى التي يتعرض فيها لهكذا موقف، بل في الحقيقة كادت لتكون تلك المرة الأولى التي ينجو بها بكرامته لعدم سقوطه، لكن للأسف الشديد لم يحدث ذلك، نهض بعنف شديد وهو يعدل ثيابه متجاهلاً سقوط إحدى عدسات النظارة السوداء أرضاً ليسير بعدسة واحدة يتمتم بضيقٍ يُحاول بها صم آذانه عن الهمسات الساخرة من باقي زملائه في المنظمة.

توقف أمام أحد الأبواب وهو يحاول التنفس ليهدأ من غضبه قبل أن يرفع يده يطرق بعنف خارج عن إرادته بسبب ما حدث له، ولم يتوقف عن الطرق بقوةٍ وكأنه ينتقم من الباب، حتى وصل له صوت عميق بعض الشيء يتحدث بنفاذٍ صبر:

- اتفضل.

فتح أسامة الباب بعنف شديد وهو يقتحم الغرفة، يتجاهل قول أي شيء ولو من باب الاحترام لقائده الأعلى في المنظمة، توقف أمام المكتب يرفع يده يلقي عليه تلك التحية الرسمية مرغماً وهو يرى نصف الغرفة بالأسود ونصفها طبيعي؛ بسبب نظره إليها من خلال نظارته ذات العدسة الواحدة.

نظر القائد لأسامة وهو يحاول كتم بسمه ساخرة، فكان يجب أن يتوقع أن ذلك الهمجي الذي يطرق الباب هو نفسه المحقق أسامة.

أشار بصمتٍ للمقعد المقابل لمكتبه وهو يقول

بسخرية:

- اتفضل يا حضرة المحقق.

جلس أسامة بسرعة على المقعد بغضب يحاول هضم ذلك الموقف الذي تعرض له، فهي ليست المرة الأولى أسامة؛ لذا توقف عن التظاهر بالغضب، لكن لم يكد يهضم ذلك حتى سقط بالمقعد أرضاً بسبب عنف جلسته التي أدت لتحرك المقعد للخلف.

نظر أسامة لسقف الغرفة وهو يتنفس بعنف بعدما سقط أرضاً يتجاهل حديث قائده الذي يحاول الاطمئنان عليه، وأنه لم يكسر ظهره، ابتسم بسمة غاضبة:

- أنا كويس يا فندم.

أنهى حديثه وهو ينهض دون كلمة إضافية يجذب المقعد مجدداً، يثبتته بقوة حتى يتأكد من جاهزيته للجلوس دون أي غدر، ثم جلس عليه بكل هدوء وكأن شيئاً لم يحدث، يراقب قائده الذي كان يعبث في بعض الأوراق الفتناثرة أمامه على المكتب وهو يتحدث بهدوء متجاهلاً ما حدث منذ ثواني:

- حمدالله على سلامتك يا أسامة

أنهى حديثه يلقي بملف أخضر اللون أمام أسامة وهو يقول ضاماً كفيه أمامه في حركة كلاسيكية يضيف ببسمة دبلوماسية:

- مهمة المدرسة جه وقتها.

نظر أسامة ثواني للملف قبل أن يرفع عينه للقائد يقول بجدية كبيرة:

- امتى بالضبط؟!

- كمان يومين هيبدا طاقم المدرسة في التغيير، وطبعا مش محتاج اقولك هتعمل ايه أنت وفرقتك. أنهى حديثه بنظرات متسائلة يحاول بها اختبار

أسامة، إن كان يعلم مقصده ام لا؟ لكن كل ما صدر من أسامة هي حركة رتيبة يحمل بها الملف ثم هز رأسه هزة صغيرة ونهض بكل بساطة يقول ببسمة بدأت تشق فمه بحماس شديد:

- ولا يكون عندك شك يا فندم، هجلك المهمة في شوال.

- المهمة؟!

كانت كلمة واحدة خرجت من فم القائد بعدما لم يتمكن من كبتها قاصداً بها تلك المرة التي وجدوا بها فريق أسامة كله معبأ في تلك الأكياس الخيشية، والتقط أسامة سخريته بشكل واضح، يعرض شفتيه بغضب شديد وهو يقول:

- أيوة يا فندم المهمة، بعدين اللي حضرتك بترمي فيه كان مقصود لعلمك، أصل سمعت إن الخيش مفيد للبشرة.

رفع القائد حاجبه بمعنى " حقاً "، لكن أسامة لم يمنحه الفرصة للحديث وهو يسترسل في الحديث عن فوائد الخيش للبشرة وكيف أنه يتسبب في زيادة نعومة البشرة وغيرها من الفوائد، قبل أن ينسحب من المكتب محتفظاً بما تبقى من هيئته، إن كانت موجودة من الأساس.

تحرك في الممرات ومازلت الدنيا أمامه منقسمة لجزئين، جزء بالأسود، والآخر بشكل طبيعي، انحرف بسرعة في أحد الممرات متجهاً صوب المكتب المشترك مع " سرب البط البلدي " خاصته، يفتح الباب بعنف جاعلاً الجميع ينتفض من مكانه بشكل أدى لاختلال كل ما كانوا يفعلون

فها هي " مدام عفاف " تللم أصابع المحشي الخاصة بها والتي سقطت منها فزغا، تلوي شفتيها بغیظ من دخوله " الهمجي " كما تقول، قد تظن أن

"مدام عفاف" موظفة في السجل المدني بتصرفاتها تلك وحديثها وحركاتها السوقية بامتياز، لكن للأسف هي أحد أفراد سرب البط البلدي.

وهذا "الاسطا جلال" يحاول تجميع أجزاء هاتفه الذي سقط منه عند دخوله، لا ليس ميكانيكًا، بل هو أيضًا أحد أفراد فرقته، والذي يظن أن العالم كله يدور حوله، وأن جميع النساء يسيل لعابهن عند رؤيته، رغم هيئته العادية بعض الشيء.

وهناك في أقصى الغرفة نجد آخر أفراد فريقه المبجل، "الأنسة هند" المناضلة الأولى لحقوق المرأة، أو أي شيء مؤنث في هذه الحياة، تشعر كما لو أنها تبحث عن أي ذكر حقير تسول له نفسه على أذية أي شيء يحوي تاء تأنيث.

- مش تقول أحم ولا دستور يا أخويا، كده بهدلت رصة المحشي؟!

رفع أسامة حاجبه وهو يدلف المكتب مُغلقًا الباب خلفه بقوة أكبر من تلك التي اقتحمه بها سابقًا يسخر من حديث عفاف:

- لا مؤاخذه يا ست عفاف، المرة الجاية هكح وأنا داخل المكتب.

أنهى سخريته وهو ينظر لجلال الذي كان يتذمر من هاتفه:

- اسطا جلال خليك معايا الله يكرمك، أنسة هند انتبهي معايا لو سمحت.

اعتدل جلال في جلسته باهتمام شديد وهو ينظر لما يحمل قائده الفباشر يقول بتخمين:

- دي مهمة جديدة؟!

ابتسم أسامة بسمّة خبيثة وهو يرفع الملف أمام عينه يهز رأسه بنعم:

- بالضبط

ويبدو أن الأمر أثار انتباه عفاف لدرجة أنها تخلت عن أصابع المحشي الحبيبة خاصتها تنفض يدها وهي تتحرك من خلف مكتبها تجلس على مقعد يجاور مقعد جلال، وتبعها هند وهي تتوسط الأريكة أمام أسامة الذي شرع يشرح لهم هوية مهمتهم التالية:

- تمام المهمة اللي استنيناهنا من شهور جه وقتها
- مهمة ايه اللي استنيناهنا من شهور دي؟! أنا مستنتش حاجة.

هكذا قاطع جلال حديث أسامة بكل حماقة، مما جعل أسامة يتشنج وهو يكمل شرح دون أن يأبه حتى بالإجابة عن سؤاله الأحمق الفعلق، فهو اعتاد مثل هذه الأسئلة كل مرة:

- فيه مدرسة داخلية للأيتام من فترة طويلة ويحصل فيها حوادث غريبة، مرة انتحار بنات، ومرة موت بنات بلا أي مقدمات، وشاكين أن...
توقف عن الحديث وهو يستمع لصوت هند الحانق وبشدة:

- واشمعنا بقى البنات هي اللي تنتحر وتموت؟ ولا هو البلد دي مش وراها غير البنات؟ الخطف للبنات، والقتل للبنات.

- معلىش يا أنسة هند المرة الجاية هتأكد بنفسى أن المهمة تكون تعذيب الرجالة عشان ميبقاش فيه أي ضغينة بس.

صمت وهو يفرك ما بين عينيه ثم تابع بحنق:
- المهم أننا انتظرنا من شهور؛ لأن معروف أن المدرسة دي كل فترة بتغير طاقم العمل اللي فيها لسبب غريب، وعشان كده استنيننا نقدر أننا ندخلها

ضمن الفريق الجديد اللي هيتم اختياره.
صمت وهو ينظر للجميع ينتظر أي سؤال أحقق قد
يصدر من أحدهم، لكن لم يحدث ذلك ليستمر في
الحديث بجدية:

- المطلوب منا أننا ننغمس بين العاملين في
المدرسة ونحاول نكتشف السر وراء كل القتل
والانتحار والموت اللي بيحصل في المدرسة دي.
- طب مش ممكن يكون كل ده حوادث أو صدف
عادية؟!

هكذا أعربت عفاف عن تساؤلات تدور في خلدها
تنتظر إجابة أسامة الذي لم يتركها كثيرًا وهو
يجلس على مقعد يتوسط مقدمة المجلس:

- كان ممكن يكون كده يا عفاف، لو مكانش فيه
16 حالة انتحار في خلال شهرين، إلى جانب أكثر
من ثلاث حالات موت بشكل غامض واللي أشك أنها
موت طبيعي أساسًا.

أنهى حديثه وهو يلقي الملف بيده أمام الجميع
يراقب تباين تعبيرات الوجه عليهم باهتمام شديد،
ثم استرسل في الحديث يحاول بذلك إعطائهم
دفعة حماس للمهمة الجديدة:

- المطلوب منا معرفة سر المدرسة دي، واللي
بيحصل فيها، وسبب تغيير طاقم العمل باستمرار،
بل واختفاء بعض الأشخاص منه كل شهر، ماعدا
مديرة المدرسة واثنين مساعدين ليها.

صمت يتنحى ثم قال بجديّة:

- أنا هتقدم على أساس مدرس انجليزي، هند
هتقدم على وظيفة مشرفة اجتماعية، وجلال
هيكون مدرب اللياقة الخاص بيهم، وعفاف
هتكون...

تظاهر بالسعال وهو يقول شيء لم يصل لأحد؛ لذا
تطوعت عفاف للسؤال برؤية من أفعاله:
- أيوة هكون ايه؟!

- دادة

تخلل حديثه سعال يحاول به إخفاء تلك الكلمة
والتي يعلم أنها سثسبب فيضانات من السباب
الخاصة بعفاف، ولم تخيب عفاف ظنه، وهي تصدر
صوتًا مجهول المصدر من فمها فتشنجة بسخرية:

- نعم يا خويا؟! دا...ايه؟ دادة؟؟؟ ليه شايفني
ماسكة الببرونة وماشية ادادي في العيال؟؟

حاول أسامة أن يستدعي بعضًا من تلك الهيبة
التي تمنحها له مرتبته كقائد هنا، لكن عفاف لم
تمنحه الفرصة وهي تتحدث بكل غضب تمتلكه:

- بقولك ايه يا أخويا؟؟؟ أنا ياما تمسكني وظيفة
عدلة ياما أنا مش معاكم في الموضوع ده.

- مش معنا ايه يا عفاف، هو احنا داخلين جمعية
واختلفنا مين يقبض الاول، دي مهمة يا ماما، بعدين
مالها الدادة يعني؟! الموضوع اساسًا هيستمر شهر
واحد نحاول نلم فيه دنيتنا وبعدين نمشي.

- برضو لا، ولا يوم واحد، شوفلي حاجة غيرها.

تشنج أسامة وهو ينهض ليصبح نذا لعفاف:

- حاجة ايه إن شاء الله؟؟؟ هما دول اللي
موجودين.

- أي حاجة، مدرسة اقتصاد منزلي، مدرسة حاسب
آلي، إن شالله حتى المديرية، اتصرف.

ابتسم أسامة بسخرية وهو يتنفس بعنف ثم صرخ
في وجهها:

- بقولك ايه هي دادة يا عفاف، وطول ما أنا القائد
هنا هتنفذي كلامي سامعة؟!

أنهى حديثه وهو يصرخ بشكلٍ أثار رعب الثلاثة فهم لم يسبق لهم أن رأوا ذلك الوجه لقائدهم، ربما لأنه لا يجيد ارتدائه عادة.

- حد عنده مانع؟!

هكذا تحدث أسامة بعنف ليهز الجميع رؤوسهم بقوة، ابتسم أسامة برضا ثم تنفس وهو يشير للجميع بالجلوس مجدداً يقول بكل جدية:

- أنا واثق فيكم يا رجاله ويا ستات.

قال كلمته الأخيرة بعد رؤيته لهند تتململ في جلستها، ثم اتبعها ببعض الكلمات الحماسية:

- الكل راهن على فشلكم، جه الوقت اللي يخسروا فيه الرهان ونثبت لهم أننا مش أقل منهم، وأنا من أكثر الفرق اللي هنا مهارة و....

قاطعه جلال وهو يقول بغباء شديد:

- طب ما يراهنوا، كده كده الرهان حرام وربنا مش هيباركهم فيه، ليه نتعب نفسنا ونثبتلهم يعني؟!

عند هذه الكلمة ابتسم أسامة بسمة وهو يغمض عينه بقوة يحاول استدعاء كل هدوءه حتى لا ينقض ويقتل جميع فرقته، يردد بحنق وغضب:

- بداية مبشرة يا شباب، شكلها مش المهمة اللي هتتجاب في شوال.

تتابعت أيام ولحقتها أيام في سباقٍ شرس، حتى أتى وأخيراً اليوم الموعود للفريق، اليوم الذي ارتقبوه شهور كاملة، شهور كاملة من التحضيرات والبحث عن كل شيء يخص تلك المدرسة، أفكار الجميع تتصارع عفاً إن كانت الخطة ستنجح أم لا؟ تنهد أسامة وهو يتمسك بمقود سيارته ينظر أمامه لباب المدرسة حيث دخل فريقه إليها منذ

قليل، بعدما استطاع وبطرقه الخاصة أن يبعد أي متقدمين للوظيفة، حتى يتأكد من اضطرارهم لقبوله هو ومن معه.

ارتدى أسامة نظارته بكل جدية ثم حمل أشياءه، وتأكد من ملفه الشخصي الذي لعب في معلوماته، وغير من مؤهلاته حتى تتناسب مع المدرسة هنا، فهو بالطبع لن يترك لهم فرصة التفكير حتى.

دخل المدرسة بكل سهولة، حيث إنها تفتح أبوابها في ذلك الوقت، لاستقبال المتقدمين للوظائف، تحرك بحرص في الممرات يسأل من يقابله عن مكتب مديرة المدرسة والتي تجري وبنفسها المقابلات، لكن أثناء ذلك رأى من نهاية الممر " جلال " الذي انتبه له للتو يركض صوبه وهو يصرخ بفرحة شديدة ودون أن يعبا بتلك الـ " سرية " التي أخبره بها أسامة من قبل:

- اتقبلت يا أسامة اتقبلت.

نظر أسامة حوله بسرعة في فزع شديد يتفقد إذا ما انتبه إليه أحد أم لا، يردد في داخله، أنه أخطأ، نعم أخطأ وبشدة حينما وقف أمام قائده ينفخ صدره بكل كبرياء مردداً أن هذه المهمة لن تكون سوى لفريقه، ولن يسمح لأحد أن يسلبه إياها.

ويا ليتنه سلبه إياها.

كانت هذه أفكار أسامة وهو يراقب ركض ذلك الغر جلال الذي يصيح بسعادة وكأنه طفل يبشر والده بنجاحه:

- اتقبلت يا عو اتقبلت و.....

توقف عن الحديث وهو يرى انتفاضة أسامه صوبه، يضربه بعنف على كتفه، ثم يضربه بقدمه ضاغظاً على شفتيه بغيظ شديد يستغل أن الممر

فارغ إلا من كليهما:

- اسكت اسكت، فهمت أنك اتقبلت اسكت.

لكن جلال لم يفهم سبب غضب أسامة وهو يقول بتعجب يُحاول تجنب الضربات وصوته يعلو أكثر:

- بتضربني ليه طيب؟! أنا بقولك اتقبلت يا جدع.

عند هذه الكلمة ازداد غيظ أسامة وهو يضرب رأسه برأس جلال يصيح في عنف:

- يعني اتقبلت في رئاسة الجمهورية؟!

سقط جلال أرضاً وهو يكتم تأوها من فمه بينما أسامة يرمقه بغيظ، يحاول أن يخترق عقله ليرى منبع ذلك الغباء، ولم يكذ يضيف كلمة حتى سمع صوتاً جواره يقول بفخر:

- خلاص يا قائد المهمة تمت واتقبلت، رغم أنني مش طايقة حوار دادة بس كله لأجل ال.... أيه ده ماله جلال بيعمل ايه؟؟؟

- بعمل ضغط.

هكذا أردف جلال وهو يمسك معدته بوجع ثم تحسس رأسه يتأكد أنها لم تتحرك قبل أن ينهض ببطء يُحاول تحمل الوجع، ليسمع صوت عفاف وهي تضيف بفخر:

- بس شوفت يا جلال الخبرة، ما اخدش في أيدي ثانية وكنت اقنعتته إني دادة مثالية.

أين الخطأ الذي ارتكبه في حياته حتى يكون هذا فريقه الخاص؟؟؟ أو كيف بحق الله أصبح هؤلاء المغفلين من ضمن فرق التحقيق في منظمتهم، الآن فقط علم سبب تصنيف منظمتهم منظمة من الرتبة الثالثة، ووصفها بدون المستوى، بالطبع لأجل قبولها بمثل هؤلاء المعاتيه.

كان أسامة في تلك اللحظة كان قد وصل للحظة

دفنهما في رأسه، بعدما انتهى للتو من قتلها منات
المرات وكل مرة بطريقة أبشع من سابقتها، وها هو
الآن داخل رأسه يرقص فرحاً أعلى قبrierهما.

نظر كلاً من عفاف وجلال لبعضها البعض بعدم
فهم، يلاحظان تلك النظرات السعيدة التي تعلو
وجه قائدهما.

لكن كما هو معروف (السعادة لا تدوم) وها هو
أسامة ينتفض من خيالاته الوردية الجميلة والمليئة
بالسلام النفسي على هزة خفيفة من يد جلال.

نظر أسامة في الوجوه حوله بوجوم واضح وكأنه
يسأل (كيف ما زلتم أحياء؟)، ثم تحرك بعيداً عن
مكان وقوفهم مشيراً لهم أن يتبعوه، ليتوارى بهم
في مكان مخفي أكثر وكأنه تذكر للتو أنهم في ممر
مكشوف.

- هو احنا هنا جايين نعمل ايه؟!

سؤال بسيط طرحه أسامة في انتظار إجابة أبسط
ثريح صدره وتخبره ألا ييأس فمازالوا يحتفظون
ببعض خلايا عقلهم الحية، وكذلك خرجت الإجابة
بكل بساطة من فم عفاف:

- جايين مهمة.

- الله ينور عليك يا عفاف، والمهمة دي المفروض
إنها..

صمت على أمل أن يكمل أحدهما حديثه، لكن كل
ما حصل عليه منهما هو نظرات بلهاء صفعته وبشدة
على وجهه مُعيدة إياه لواقع حياته البائسة مع هكذا
أشخاص:

- المفروض إنها..كملوا يا حبابي المفروض انها
ايه؟!

- المفروض انها حلوة؟!

هكذا خرجت إجابة جلال بكلّ بلاهة ليبتسم له
أسامة وهو يرفع يده على خده بصفعة صغيرة
مازحة:

- يا حبيبي، ده أنت اللي حلو والله.

صمت ثم نظر حوله يقول بغضب شديد وقد بدأ
يفقد أعصابه:

- المفروض انها سرية يا شوية معاتيه، سرية وانتم
جايين تقفوا معايا وتتكلموا فيها، في ممر قدام
مكتب المدير، وشوية هندخل نجبلنا اتنين شاي
ونحكيها المهمة من الأول.

أنهى حديثه الحاد والخافت وهو يتنفس بعنف
شديد يفكر بالعودة للمنظمة والاستقالة، ثم يحضر
بعض البطاطا ويذهب لبيعها على أي شاطئ
سيكون أفضل له من كل ذلك الضغط الذي يمر به:

- اسمعوا عشان وربي اللي هيخالف كلمة من اللي
هقولها هقتله واريح البشرية من غبائه، احنا هنا
في مهمة سرية، إحنا منعرفش بعض، منعرفش
اسماء بعض، أنا هنا مش القائد، أنا هنا مُدرس لغة
إنجليزية مليش علاقة بكم سامعين؟!

أنهى حديثه وهو يتحرك مبتعدًا عنهم بسرعة قبل
أن تنتقل له عدوى الحمق، فالأمر أصبح مخيفًا،
لكن أثناء تحركه صوب مكتب المديره للانتهاز من
المقابلة، وجد هند تتقدم له بسعادة غامرة وهي
تفتح فمها للتحدث قبل أن يرفع يده بسرعة يمنعها
من الحديث فشيّزا خلفه بنزق:

- عارف اتقبلتي يا هند، روعي احتفلي مع الاثنين
اللي ورا دول وهيصوا يا حبايبي.

أنهى كلماته الساخرة وهو يتركها تنظر لآثره
بتعجب شديد، لا تفهم حديثه، كما أنها لا تعلم كيف

عرف أنها ستخبره بقبولها، تراه يقرأ الأفكار؟! هزت كتفها دون اهتمام وهي تتحرك صوب جلال وعفاف ببسمة واسعة تغمز لهما بحذر أن يراها أحد، ثم رفعت إبهامها في حركة (تم)، ولم تدرك أن الاثنين الآخرين أسمعوا حتى الاموات أنهم قبلوا.

تحركت في ممرات المدرسة وهي تتجه صوب الغرف التي تسكنها الفتيات، كل ثانية وأخرى تلتفت خلفها برعبٍ خوفًا أن يلمحها أحد في ذلك الوقت بالقرب من غرف النوم، حيث أنه ممنوع على أي فتاة أن تتواجد قبل المغيب في تلك المنطقة من المدرسة.

ابتلعت الفتاة ريقها وهي تتسحب على أطراف أصابعها مُقتربة من أحد الأسيرة، وهي تحاول أن تنتهي من تلك المهمة وبسرعة قبل أن يمسك أحد بها.

صراع كبير يدور داخلها، صوْثٌ يصرخ في عقلها أن تتوقف عما تفعله، يكفي كل ما جنته يداها سابقًا، لكن هي أبدًا لم تستمع لذلك الصوت، بل سارت خلف الصوت الآخر الذي يشجعها، الصوت الذي يصفق لها بفخرٍ مُخبِرًا إياها أنها تحسن الصنيع.

توقفت الفتاة أمام الفراش المرجو، ثم أخرجت شيء من ثيابها وهي تلتف حولها تتأكد من أنها تتواري عن الكاميرات، فهذه ليست المرة الأولى التي تفعل بها هذا، تعلم جيدًا متى تكون استراحة الحراس المراقبين للكاميرات، ومتى تتوقف الكاميرات ومتى تعمل مجددًا، هي أضحت خبيرة بتلك الأمور.

دشت الفتاة ما بيدها أسفل إحدى الوسائد، ثم وضعت جواره ورقة بيضاء تماثل لون اللعبة

البيضاء التي وضعتها قبلها، نفس العلبة التي ارتشفت منها منار قبل رحيلها عن ذلك العالم.
مسحت الفتاة ذرات العرق التي تزين جبينها، ثم وضعت الوسادة فوق الاشياء مجدداً، وبعدها ركضت بأسرع ما تملك خارج المكان بأكمله وهي تبكي بخوف شديد لما فعلت تردد في نفسها:
- مرة ثانية... مرة ثانية.

بكل ثقة امتلكها يوماً، وبكل غرور وهمي وكبرياء غبي، كان يجلس أمامها وهو ينظر لما تقوم به، حيث أخذت تلك السيدة الطاعنة في السن، تقلب صفحات ملفه الشخصي بين يديه، ترى أن كان يناسب الوظيفة التي تقدم لها أم لا؟
رفعت السيدة نظرها فجأة ليدعي أسامة عدم انتباهه لها وهو يراقب هاتفه الذي يستريح في كفه، لكن صوت السيدة والتي كانت مديرة المدرسة هو ما اخرج من ذلك الشرود الذي يدعيه:
- مستر أسامة العوني؟

وكان هذا أقصى ما تمكن من تغييره في اسمه، فهو لن يتخلى عن اسمه الحبيب لأجل مهمة؛ لذا قام بتغيير بسيط وعدل اسم العائلة من العول العوني، هو في النهاية ليس من ذلك النوع الفعز باسم عائلته، أعني أي شخص قد يعتز بكلمة تستخدم في العادة لإخافة الاطفال؟
- أيوة يا فندم.

هممت المديرية وهي تعدل من وضعية نظارتها ترمقه نظرات تشعره كما لو أنه أسفل التليسكوب أمام عالم شغوف يراقب البكتيريا، تنحج أسامة وهو يزرع بذور الثقة في خطته داخله، يشجع نفسه

على الابتسام بثقة والتحدث بجديّة كبيرة تعزز من ثقته أكثر:

- فيه مشكلة في الملف يا فندم؟!

هكذا أردف أسامة وهو يراقب بؤادر التفكير على وجه تلك العجوز، التي لا تطمأنه أبدًا، ولولا ضميره المهني، لكان أعلن منذ اللحظة الأولى أنها المجرمة. ألقت السيدة نظرة سريعة عليه قبل أن تنهد بتعب شديد:

- لا أبدًا يا مستر أسامة، الـ CV بتاع حضرتك لا يشوبه شيء، لكن هيتهم وضعك تحت التدريب لفترة معينة.

- يعني أنا مقبول في الوظيفة؟!

نظرت المديرية للهفته بتعجب وهي تهز رأسها بنعم، انتفض أسامة بسعادة من مقعده وهو يلقيها بوابل من الشكر والامتنان، قبل أن يودعها مع وعد بالقدوم بعدما يحضر أمتعته، حيث سيقوم في المساكن الفخصة للفدرسين داخل المدرسة.

خرج أسامة من مكتب المديرية وهو يشعر بالسعادة فها هي أولى خطواته في طريق حل تلك القضية، أخرج هاتفه من ثيابه وهو يكتب بضع كلمات، ثم ضغط على زر الإرسال مجددًا بذلك جميع أفراد فريقه داعيًا إياهم لاجتماع عاجل.

مساء نفس اليوم في المنظمة وكما طلب أسامة، تجمع أفراد فريقه ليخبرهم بالتعليمات الأخيرة قبل العودة للمدرسة في اليوم التالي والسكن بها، كما تقتضي شروط العمل.

كان أول الواصلين للاجتماع عفاف وهي تحمل في يدها علبة بلاستيكية صغيرة ذات لون وردي،

والتي خمن أسامة من رائحتها أنها تحمل طعام، ولم تُخيب عفاف ظنه وهي تجلس على أول مقعده تفتح العلبة تلتقط بعض الحلوى التي تتفنن في صنعها؛ لتدفعه إلى التساؤل للمرة التي لا يعلم عددها، عن سبب انضمام فتاة كعفاف إلى عملهم، وتركها للطهو؟!

- تاكل؟!

هكذا أخرجته عفاف من شروده ليهز هو رأسه لها بـ (لا)، يبتسم بسخرية على حاله الفثير للشفقة، يراقبها تلوك الطعام بتلذذ غير مهتمة بالمكان التي تجلس به.

- ألا صحيح يا خويا هو أنا لازم اناام في المدرسة المخروبة دي؟ أحسن بيني وبينك شكلها يلبش، وشكلها كده اللهم احفظنا مسكونة.

لم يمهل الباب الذي انفتح بعنف أسامة الفرصة للرد وهو يراقب هند التي اقتحمت المكتب في قوة ذكرتها بنفس اقتحامه المعتاد له:

- اسمع يا قائد المهمة دي أنا خلاص حطيتها في دماغي، هما فاكرين عشان دول بنات ييجوا عليهم بالشكل غير الادمي ده، البنات معندناش أي رفاهية هناك، دول في سجن "

دخل جلال المكتب في ذلك الوقت وهو يتحدث في هاتفه بغروره الغبي المعروف، بل غروره المضحك وبشدة:

- يا بني ماهيتاب مين دي اللي مش شيفاني، أنت ماخدتش بالك كانت بتبصلي ازاي اخر مرة؟ أيوة ما انا اخدت الكلب بتاعها يقعد معايا لغاية ما تخلص الاعلان، بس المسكينة طول الاعلان مش قادرة ترفع عينها من عليا... ايه بتقول ايه أنت؟!

أنهى حديثه بحدة رافضاً ذلك التخمين المزعج الذي طرحه صديقه عليه، لكن فجأة وأثناء صراخه انتبه لنظرات الجميع في المكتب له؛ ليدرك فجأة أنه داخل المكتب بالفعل بعدما انشغل في الحديث عبر الهاتف لدرجة ألا يستوعب أين هو.

- طب بقولك ايه اقفل أنت دلوقتي وبعدين اكلمك. أنهى جلال الحديث في الهاتف وهو يتحرك بكُل هدوء يجلس على المقعد الذي يجاور عفاف والتي كانت تلوي شفيتها في حركة سوقية وبشدة تتمتم: - هتموت على ايه يا حسرة، دي تلاقيها كانت خايفة تاخذ الكلب وتجري بلا نيلة.

لم يهتم لها جلال معتقداً أنها تغار عليه، فهو يوماً لم يفكر في مغازلتها كما يفعل مع الجميع.

نظر أسامة لهند يشير لها بالجلوس وفي عينيه نظرة محذرة أن ترفض، لكنها لم تفعل، بل رضخت لإشارته تجلس بحني على المقعد تنتظر حديث أسامة والذي بدأ حديثه بنبرة غامضة مخيفة:

- اسمعوا عشان الكلام اللي هقوله ده مش هيتكرر، واللي هيخالف كلامي قسماً باللي خلقتني ما له عندي غير رصاصة واحدة بس.

أنهى حديثه يراقب نتيجته على تعابير الوجه أمامه، ثم شرع يلقي تعليماته بكل جدية، وكيف سيتم جمع المعلومات مستغلين وظائف، وكيف سيسير كل شيء داخل المدرسة، بشكل يجنبهم الشكوك.

صباح جديد يظل على مدرسة (ميلر)، تلك المدرسة العريقة التي بناها أحد جنود الاحتلال

منذ عقود طويلة وسماها نسبة لعائلته، ومن بعدها أضحت تلك المدرسة من أكثر المدارس الداخلية شهرة في مصر وذلك لما تمتلكه من نظام صارم، ليأتي وقت عصيب على المدرسة وتفلس، ثم تغلق أبوابها بشكل كامل، حتى جاء أحد رجال الأعمال ذوي السلطة ويشتريها لتكون مدرسة خاصة فقط بالأيتام كنوع من الدعاية لأعماله الخيرية، وها هي منذ ذلك الحين مستمرة في استقبال أي فتاة يتيمة ألقت بها الأقدار أمام عتبات المدرسة.

وضع أسامة حقائبه في الغرفة التي سيسكنها رفقة مدرس آخر، لم يهتم أسامة كثيرًا بمعرفة من سيكون ذلك المدرس أو المادة الدراسية التي سيقوم بتدريسها بقدر اهتمام بفحص الغرفة واكتشاف إن كانت تحوي كاميرات مراقبه ام لا؟ ومعرفة الأجزاء التي تطل عليها الغرفة و...

توقف أسامة فجأة عن الحركة في الغرفة وهو يستمع لصوت الباب الجانبي - والذي خمن أنه المرحاض - يفتح ليخرج منه شاب في بداية عقده الثالث ينظر له بتعجب شديد.

رسم أسامة سريعًا بسمة دبلوماسية على وجهه وهو يراقب ذلك الشاب يرمقه بشك، ونظرات غامضة غريبة، وكأن تلك المدرسة لا تحتوي شيئًا طبيعيًا، حتى الأشخاص بها غريبو الأطوار، وأكبر مثال على ذلك هو وفريقه الخاص.

- أهلاً أنا أسامة العوني، مدرس الإنجليزي الجديد. رmq الشاب يد أسامة الممدودة بنظرات أثارت ريبة أسامة أكثر قبل أن يبتسم الشاب بسمة واسعة يلتقف يد أسامة محركًا إياها بحرارة:

- أهلاً أستاذ أسامة، مع حضرتك ابراهيم مدرس الاحياء هنا، وانا برضو ده اول شهر ليا هنا.

ابتسم له أسامة بسمة صغيرة، ولم يكذ يتحدث بكلمة، حتى انتفض الاثنان على صوت صرخات رجت الجدران من حولهم مثيرة فزع الجميع.

ركض أسامة وابراهيم في الممرات بسرعة جنونية، صوب مكان الصرخات، يفكر أسامة أن المهمة بدأت مبكرا ومبكرا جدا، حتى قبل أن يستنشق أول أنفاسه في المدرسة.

فجأة توقف ابراهيم والذي كان يسبق أسامة في الركض بشكل مخيف وقد شعر أسامة أن جسد ابراهيم تحول لصخر فجأة أمام أحد الأبواب، اقترب بترقب وهو يستكشف المكان ليتضح أنه المرحاض، تحركت عين أسامة ببطء صوب الصراخات ليجد فتاة بجسد شاحب تتوسط الأرضية، جوارها تقبع فتاة أخرى تصرخ بهستيرية وهي تناديهما، توقفت عين أسامة فجأة على علبة بيضاء و.....

الفصل الثاني

قطرات دماء...

نظرات زائغة...

جسد شاحب متيبس...

صرخات مدوية يرنّ صداها في المكان بأكمله...
تلك المشاهد وتلك اللحظات كانت مخيفة للبعض،
ومألوفة للبعض الآخر كأسامة وفرقة.

دارت عين أسامة ببطء في المكان يتأكد من
وجود فريقه الذي اجتمع بمجرد سماعهم لتلك
الصرخات، لكن فجأة توقفت أنظاره على عبوة
بيضاء تسكن جوار جسد الفتاة وتحديداً يدها
اليسرى؛ لذا تحرك أسامة بحركات حذرة ينحني
جوار جسد الفتاة مستغلاً انشغال الجميع بما يحدث
يدّعي فحصه لنبضها، ثم ودون أن ينتبه أحد أخفى
العبوة في جيب بنطاله، وبعدها استقام يغمض عينه
بأسف مصطنع يقول بصوت واهن بعض الشيء :
- للأسف اتوفت.

ازدادت الصرخات في المكان أكثر وكان ذلك
لم يكن واضحاً وحديثه هو من أكد الأمر، كانت
الصرخات مرعبة وبحق، حيث كانت تلك الفتاة التي
تجلس جوار القتيلة تتحدث بكلمات غير مفهومة
وكانها دخلت في صدمة:

- هي كمان ماتت، قتلوها، كلنا هنموت، واحدة ورا
الثانية هنموت، هيقتلوننا كلنا، هما اللي قتلوها زي ما
قتلوا اللي قبلها.

كانت تتحدث بهستيرية مخيفة أثارت انتباه
أسامة ومن معه، والنظرات المتبادلة بينهم توحى
بأن الأمر ليس بالسهل كما تخيلوا، وليس بالصدفة
كما خمن هو سابقاً، كل تلك الفتيات اللواتي قُتلن أو

انتحرن، كل ذلك ليس بالصدفة أبداً.

- كله يرجع لغرفته يا سادة، انتهى العرض.

كانت تلك الكلمات هي الفيصل لكل ما يحدث، وهي الرادع لصرخات الفتاة وحديثها الاخرق - من وجهة نظرها - تقدمت صاحبة الصوت لمكان الفتيات و لم تكن سوى مديرة تلك المدرسة التي وقفت بكل شموخ في المنتصف ترمق المشهد أمامها بجمود كبير وكأنها تشاهد عرض مسرحي أو ما شابه .

نظرت المديرة في اوجه الجميع قبل أن تتحدث بهدوء تحسد عليه في هكذا موقف:

- ارجو من الكل أنهم يرجعوا لغرفهم، ويستعدوا لبداية اليوم الدراسي اللي هيبدأ كمان ساعة.

أنهت حديثها وهي تنظر لساعة يدها حتى تتأكد من دقة معلوماتها، تاركة الجميع يرمقها بصدمة لردة فعلها تلك، أي إنسانة تلك هي التي تشاهد مشهد كهذا وتتعامل معه بذلك البرود؟! تلك السيدة إن كانت تقصد أن تظهر بشكل مريب، فقد نجحت بذلك.

نظرت المديرة لرجل جوارها ويبدو أنه هو نفسه المساعد الذي قرأ عنه والذي يعد يدها اليمنى هنا في المدرسة:

- اتصرف يا سليمان وشوف الإجراءات اللازمة في الوضع ده.

أنهت حديثها تشير بطرف عينها لجنّة الفتاة التي تحتل الأرضية، ثم أضافت بكل هدوء وقد بدأت نبرتها تزداد حدة:

- اظن كلامي اتسمع، كله على غرفته يا سادة، العرض انتهى.

وبالفعل بدأ الجميع ينفذ من حولها تاركين إياها تقف أمام الجثة وجوارها مساعدتها وسيدة أخرى، تنظر أمامها بشرود بينما يدها تستند على عكازها الفضي، تترفع عن النظر لأحد.

خرج الجميع ومن ضمنهم أسامة وفرقته والذي أشار لهم بعينه في إشارة متفق عليها مسبقاً يعلن بها حتمية الاجتماع في أسرع وقت.

بعد ساعة تقريباً:

تحرك أسامة خارجاً من غرفته المشتركة مع ابراهيم، يتبعه الأخير صوب المكان المخصص لطابور الصباح، حيث ارتفع الجرس المنبه لموعد الطابور، تجمعت جميع الطالبات في ساحة كبيرة تتسع للمئات من الأشخاص وارتصوا على هيئة خطوط مُنظمة يستمعون لكلمة مساعدة المديرية بشكل روتيني، ثم تحركوا جميعاً صوب فصولهم وخلفهم المدرسين.

تحرك أسامة جوار ابراهيم وهو يتحدث معه في أمور مختلفة وقد تجاهل الاثنان ذكر أمر حادث الصباح:

- لا أنا هخلص على ٢ كده.

- تمام اقبالك في الاستراحة.

هز أسامة رأسه وهو يتحرك لأحد الفصول، ثم بدأ حصته في أحد الفصول الدراسية الثانوية يقرأ المدون أمامه بتركيز قبل أن توقفه إحدى الفتيات فجأة في منتصف شرحه وهي تقول بتعجب:

"مستر مش فاهمة اخر نقطة ممكن توضيح ؟؟؟"

نظر لها أسامة ثواني ثم نظر لتلك الـ (النقطة) التي لا تفهمها ينظر لها مطولاً يحاول فهمها دون جدوى، هو حفظها هكذا، وهكذا كتبها دون أي

توضيح:

" ده ... ده أصل ... هو يعني ده كده احفظوه زي ما هو لأن ده حفظ مش فهم "

أنهى حديثه ببسمة واسعة غبية يدعي الله ألا يعلق أحد على حديثه أو يوقفه أحد لسؤاله مجدداً فأجابته ستكون واحدة في كل الحالات (احفظها كما هي)

استمر في الشرح وهو ينظر كل دقيقة لساعة يده على أمل أن ينتهي هذا العذاب، لكن أثناء انشغاله في تدوين شيء على السبورة اقتربت منه فتاة تستأذنه للذهاب للمرحاض، استدار لها أسامة ولم يكذب يفتح فمه ليحيبها حتى أنتبه لمعصمها الذي يلتف حوله قماشة بيضاء مرقعة بيضع قطرات دماء، ويبدو أن الفتاة انتبهت لتحديقه في يدها؛ لذا حاولت إخفائها بتوتر شديد غير مبرر زاد من شك أسامة وهو يهز رأسه ببطء في إشارة لسماحه لها بالذهاب حيث تريد ونظراته تلاحقها بعدم فهم لتوترها المبالغ فيه، والذي أثار حفيظته وبشدة.

تحرك جلال خارج غرفته وهو يرتدي ثياب رياضية يضع سماعات الاذن، يستمع لموسيقى حماسية عالية يتخيل نفسه في أحد أفلام الحركة حيث يدخل البطل للساحة تزامناً مع ارتفاع موسيقى حماسية، يعلق في رقبتة صفارة كتلك التي تُستخدم عادة في المباريات.

يسير بكل كبرياء في ممرات المدرسة متجهاً صوب الملعب المخصص للرياضة، ف وفقاً لجدوله، الان لديه تمارين مع الصف الثالث الاعدادي.

توقف أمام الساحة وهو يخرج هاتفه ينظر فيه يتأكد من هيئته وشعره وكل ما به، فسمعته كـ "

قاهر قلوب العذارى " تحتّم عليه أن يكون دائمًا مرتبًا.

ابتسم لنفسه بثقة غبية، ثم دفع الباب الخشبي الكبير الذي يفصل الملعب عن باقي المدرسة يندفع للداخل بكل نشاط وهناك بسمة واسعة ترتسم على وجهه، يسير بخيلاء أمام الفتيات اللواتي نظرن له ببلاهة لما يفعل، فقد كان يرفع رأسه بكبرياء في شكل مبالغ له حتى كادت رقبتة تكسر، بينما عند جلال لم ير تلك النظرات الموجهة صوبه، سوى نظرات هائمة كعادته، رفع يده يصفق بها يعيش في عالمه الخاص مع الموسيقى، وهو يحرك جسده بحركات يتخيلها مثيرة للانتباه، لكنها على العكس كانت مثيرة للضحك.

وفي نشوة تحليقه في عالمه الخاص، كانت الفتيات ينظرن له ببلاهة وفم مفتوح، لا أحد يفهم سبب رقصته الغبية، وفي وسط كل ذلك الصخب وأثناء ارتفاع يد جلال في الهواء ليحرك جسده بتناغم ومرونة - حسب ظنه - إذ بقدمه تتعرجل في شيء أسفله، يشعر فجأة بالأرض تصطدم في وجهه بعنف شديد مفسدة عليه إحدى أهم لحظاته، تلك اللحظة التي يعطي بها الانطباع الأول عن كم هو شاب " روش "، كل ذلك تدمر، وهو من قضى الليل يختار موسيقى غامضة حماسية استعدادًا لتلك اللحظة، تبا لحظ أسامة، الذي يوقعه دائمًا في احضان الأرض.

نهض جلال بسرعة قبل أن ينتبه أحد، وكان أحد غفل عن عرضه الفمتع منذ ثوان، ابتسم بسمة غبية وهو ينفذ ثيابه، ثم نظر لسמاعة الاذن التي تحطمت للتو وهو يردد بحسرة:

- دي كانت أصلية لسه شاريها من المترو من

يومين.

تنفس يحاول نفض غبار الحزن على سماعته الغالية والتي دفع فيها ما يقارب العشرين جنيهاً، وايضاً ينفض غبار الأرض عنه:

- اهلاً بالمحظوظات اللي هيدخلوا التاريخ بتدريبي ليهم.

تراوحت نظرات الجميع ما بين تعجب، وعدم استيعاب، لكن وكأن جلال يأبه بهذا، فجميع نظرات الإناث عنده تتلخص في نظرة واحدة " الاعجاب "، حتى وإن رمته احداهن بنظرة متقززة سيفكر أنها تذوب به عشقاً:

- طبعا مش محتاج اعرف عن نفسي؛ لأنني غني عن التعريف، لكن للتأكيد خلوني اعرفكم على نفسي، أنا الكابتن جلال بطل شبرا القومي في نط الحبل والهرطقة، وهكون مدرس اللياقة البدنية الخاص ببيكم بإذن الله.

كانت هند تجلس في المكتب المخصص لها بصفقتها اخصائي اجتماعي للمدرسة، قبل أن تسمع طرق الباب يتبعه دخول إحدى معلمات المدرسة وهي تسحب خلفها فتاة شاحبة الوجه كمن هربت منها روحها مرددة بجديّة كبيرة:

- ميس هند، دي مريم طالبة هنا وكانت صديقة المرحومة و...

صمتت قليلاً تشير لمريم، ثم اقتربت تهمس ببعض الكلمات في أذن هند قبل أن ترحل بهدوء شديد للخارج تاركة مريم لدى هند؛ حتى تنتهي من حديثها معها، ابتسمت هند بسمة صغيرة وهي تقول:

- ازيك يا مريم؟!

ولم يبذل لها أن مريم لديها النية حتى في الإجابة عليها وهي تدور بعينها في سائر المكتب، تبحث لعقلها عن شيء تشغله به عن التفكير فيما تراه يوميًا من حوادث هنا، أولها منار ومن بعدها سمر (التي ماتت اليوم صباحًا) ومن قبلهم العديد والعديد من الفتيات.

- قوليلي يا مريم، سمر كانت صاحبتك صح؟
وعلى ذكر سمر انتبهت لها مريم تنظر لهند نظرات شعرتها مستغيثة، وها هو الوتر الضعيف لهند يهتز وبعنف تحت نظرات انثى مقهورة ضعيفة؛ تحركت من مكانها وهي تجلس أمام مريم تربت على قدمها بلطف وهي تقول ببسمة:

- احكي لي يا حبيبتي، قل لي كل اللي يجي في بالك مش لازم كلام مترتب، أي حاجة تيجي في بالك قولها

نظرت لها مريم نظرات زائغة تائهة وهي تهمس بشروء:

- هي مكانتش عايزة تموت، هي ماتت غصب عنها. لم تفهم منها هند شيئًا، لكنها رغم ذلك استمرت تستمع لها بانتباه تسجل كل ما تتحدث به مريم من حديث غير مرتب، لربما يفيدها ذلك الحديث يومًا ما حتى توقفت فجأة عن تدوين ما تقوله مريم وهي تستمع لاسم غريب نطقته مريم أكثر من مرة: - الفألصة.

لم تفهم هند شيء من حديث مريم فهي تتحدث بالألغاز، لكنها رغم ذلك لم توقفها عن الحديث، بل استمعت بكل اهتمام تدون كل ما تلتقطه أذنها، لربما يفيدهم في المستقبل.

وهكذا تابع كل منهم عمله كما أمر، حتى وقت

راحة الغداء اجتمع أسامة بشكل عاجل مع فريقه في أحد الأماكن البعيدة عن الأعين خلف المدرسة.
- شوفتوا اللي حصل الصبح؟!

أنهى سؤاله وهو يرمق الوجوه أمامه، حيث كان جلال يتمطأ بكسل، بينما عفاف تناظره بفضول شديد، وهند تنظر له بشرود كبير قبل أن يقطع كل ذلك الصمت صوت جلال وهو يقول بجدية:

- أنت كمان شوفت؟! بيقلولوا إن القبقاب هيبقى موضة السنة دي، الفيس كله مقلوب عـ

صمت جلال وهو يراقب نظرات الجميع التي توجهت له فجأة في شكل آثار رعبه، ليصمت وتتحدث هند بجدية وكأنها كانت تجمع أفكارها أثناء فترة صمتها:

- بغض النظر عن اللي حصل الصبح، بس فيه حاجة لازم تعرفها يا قائد.

صمتت قليلاً ثم أضافت تراقب انتباه الجميع:
- الفُخْلَصَة.

الفُخْلَصَة؟!

كلمة بلا معنى تقريباً، كلمة يختبئ خلفها الكثير مما قد يسهل عليهم مهمتهم، لكن طريق الوصول لهذا " الكثير " ليس بالهين كما يظهر لهم، فها هم في يومهم الاول يشهدون بأعينهم أول حالة انتحار تحفها العديد من الأسرار.

أضافت هند على حديثها السابق:

- كل اللي فهمته من البنت اللي جاتلي، هو إن الفُخْلَصَة، بعنت لصاحببتها إشارة الرحيل، وحقيقي مش فاهمة معنى الكلام ده ولا عارفة مين الفُخْلَصَة دي وإن كانت بشر أساساً ولا عفريته ولا ايه حكايتها؟!

كانت تلك هي الكلمات التي أدلت بها هند قبل أن يفرق الجميع في موجة صمت طويلة، كل منهم يفكر في شيء مختلف، كل منهم يسير في طريق غير الآخر، لكن في النهاية هدفهم واحد، كشف الشخص وراء كل تلك الجرائم.

كانت النظرات المبهمة بين هند واسامة تثير تعجب كل من جلال وعفاف اللذين شعرا أنهما لا يفهمان شيئاً في هذا التجمع، لكن رغم ذلك إلا أن عفاف أسرع برسم ملامح الغموض والتفكير على وجهها، حتى لا تظهر لأحد غباؤها، عكس جلال الذي أعلنه صراحة:

- لا معلىش بقى، يعني ايه المخلصة دي؟؟؟ دي زي الديلر يعني بتخلص لهم مصالحهم؟!

نظرت هند لجلال بسخرية لازعة على تفكيره الغبي، لكن لم ينتبه أحد لأسامة التي ازدادت نظراته قتامة وحديث جلال أثار انتباهه وجعله يهتم لشيء مهم كان قد اغفله خلال يومه المشحون؛ لذا فجأة التفت لعفاف في شكل اثار فزعها ظناً منها أنه اكتشف غباؤها الذي تحاول اخفائه أسفل نظرات الغموض الحمقاء.

ابتسمت عفاف بسمة غبية وهي تهم بتوضيح موقفها:

- أنا فاهمة على فكرة بس مستنية كله يخلص عشان اشارك بفـ

توقفت عن الحديث وهي تجد أسامة يقترب منها بسرعة ينظر داخل أعينها قائلاً بجدية:

- عفاف أنت عارفة أنا بثق فيك قد ايه؟!

هزت عفاف رأسها بلا وهي مشدوهة من قربة وحديثه الغريب ذاك، ليهز هو رأسه باقتناع مضيئاً:

- عندك حق أنا مش بثق فيك، بس المرة دي غير، أنا هحط فيك كل ثقتي يا عفاف ومش عايزك تخيبني ظني.

ارتابت عفاف من حديثه الغريب ذاك، مضيقه عينها وهي تفكر أنه سيلقي بها لمصيبة، فهو لن يقول ذلك الحديث من فراغ أبدًا، لكن ما اضافه أسامة بعدها أوضح كل شيء أمامها وأمام كلاً من هند وجلال:

- فيه حاجة عايزك تحليلها وتقويلي بالضبط بتتكون من ايه وايه اعراضها؟! فهمتي؟!

هزت عفاف مجدداً رأسها بنفي، لبيتسم هو مخرجاً من ثيابه نفس العبوة البيضاء التي أخذها من جوار جثة الفتاة في الصباح:

- ده العشم يا فوفا، اهي العلبة دي عايز اعرف كل حاجة عنها، حتى نوع البلاستيك المستخدم في التصنيع، أظن في النقطة دي محدش يقدر ينافسك صح؟!

وكانت تلك حقيقة فرغم غباء الجميع في فريقه، إلا أن كل شخص منهم يمتلك ميزة غير الآخر، وإن كانت عفاف تبرع في شيء غير لف اصابع المحشي، وتقطيع الخضار، فهو العلوم والمركبات وكل ما يتعلق بهم.

- أسامة كنت بدور عليك، أنت بتعمل ايه هنا؟!

- هنعمل ايه يا ناهد هانم؟!

التفت ناهد (مديرة المدرسة) لمساعدتها تمنحها نظرة حائرة لا تظهر للكثير، قبل أن توأدها فوزاً وهي تتكأ على مقعدها باسترخاء هي ابعد ما تكون عنه:

- في ايه يا منيرة؟!

نظرت منيرة جانبها لسليمان وهي تخبره بعينه أن يتحدث معها، أن يحاول معها في ذلك الأمر الذي بدأ يخرج عن أيديهم جميعاً، وكذلك فعل سليمان بعدما ابتلع ريقه بريية يهتف بصوت خافت:

- البنات يا ناهد هانم، الكل بدأ يخاف ويدخل في حالة ذعر بسبب حالات الانتحار، ده غير حالات القتل اللي محدش يعرف عنها غيرنا، أخاف ريحتها تفوح.

صمت ينتظر رد من ناهد التي كانت تنظر للأمام بشروء غريب، في عالم آخر بعيداً عنهم، عالم حيث هي وحدها تتقاذفها أمواج أفكارها يميناً ويساراً دون أن تجد مرسى لها، تشعر أن تلك الأمواج ستخرج من عقلها لتغرق المكان حولها، ها هو ما جاهدت لإخفائه بدأ يظهر وبوضوح للجميع، بدأت الأقاويل تنتشر في المدرسة، ورائحة التمرد بدأت تزكمها، وهي من كان الجميع يخشى التنفس أمامه، عليها التحرك وبسرعة كبيرة قبل أن تنفلت جميع الخيوط من يدها وتتشابك بشكل تعجز عن فكه لاحقاً.

- ولا حاجة.

نظر كلاً من سليمان ومنيرة لبعضهما البعض، لا يفهمان معنى تلك الكلمة، وما مغزاها، لكن ناهد لم تمنح أيًا منهما الفرصة للتفكير وهي تشير بعينها إلى انتهاء المقابلة والتي لم تنطق فيها بشيء قد يهدأ نيران قلوب الاثنين.

كادت منيرة تفتح فمها للحديث، لولا نظرة ناهد الفحذرة وهي تشير لها بالخروج رفقة سليمان، تحرك الاثنان للخارج صاغرين خائعين كالعادة لما تقوله، لكن إلى متى؟!

تلك الجملة التي قطعت حديث الجميع مخترقة الأجواء مثيرة حالة من التخبط لدي الجميع، استقبلها أسامة بهدوء شديد، عكس الباقيين الذين نظروا لبعضهم بصدمة كبيرة.

استدار أسامة ببطء يجهز لرد سريع على سؤال ابراهيم، رد يبعد أي أفكار قد تراوده لوقوفه هنا مع هؤلاء الأشخاص والذين من المفترض أنهم غرباء عنه.

ابتسم يخرج من جيبه سيجار في الخفاء، ثم رفعها سريعاً أمام عينه قائلاً بنبرة عادية يلقي بالسيجار في فمه:

- ولا حاجة أنا بس حببت أدخن سيجارة بعيد عن الدوشة وجيت هنا لقيت الجماعة دول واقفين واتفرفت عليهم؟!

أنهى حديثه بنبرة عادية وهو يشعل السيجار بكل آلية ينفث دخانه برتابة من فمه يراقب نظرات ابراهيم التي تحركت على جميع الواقفين وكأنه يفحصهم لأجل قبولهم في عمل ما، ورغم كل ملامح الاستنكار التي علت وجه ابراهيم إلا أنه هز رأسه وهو يتقدم من الجميع قائلاً بسملة بشوشة:

- اه، أهلاً يا جماعة أنا ابراهيم، مدرس الأحياء في المدرسة وشريك الأستاذة أسامة في الأوضة.

أنهى حديثه بسملة وهو ينتظر أن يرد الجميع تحيته، وكذلك فعلت هند وهي تتدارك الموقف قائلة بهدوء غرفت به دائفاً:

- أهلاً مستر ابراهيم، معاك هند الأخصائية الاجتماعية في المدرسة هنا، وده الاستاذ جلال مدرب اللياقة هنا ودي..

قاطعتها عفاف سريعاً قبل أن تنطق بتلك الكلمة
البغيضة بالنسبة لها:

- معاك الأستاذة عفاف، أخصائية التغذية والنظافة
هنا.

اخرج جلال صوتاً ساخراً من فمه يعلق على
حديثها الغبي:
- الدادة

ومن حسن حظ جلال أنه لم ينظر جانبه ليرى
وجه عفاف الذي أسود غضباً بشكل مخيف، حتى
كادت تنقض على جلال تقتله بأبشع الطرق لولا
كلمات ابراهيم الفضولية وهو يدور بنظره في
المحيط مُتَعَجِّباً:

- تشرفت بكم يا جماعة، بس ايه اللي جابكم
المكان المقطوع ده؟ ده ولا كأنه خرابة.

أشاح أسامة بنظره للفحيط يرى بعض المقاعد
الدراسية وبعض طاولات الدراسة المحطمين،
والعديد من قطع الخشب الفترامية هنا وهناك بلا
أي تنظيم لثصبح المنطقة أشبه بـ " خرابة " كما
وصفها ابراهيم للتو.

تحدثت هند وهي تنظر للجميع بسرعة دون أن
ينتبه لها ابراهيم:

- أنا كنت بدور على مكان فيه شبكة عشان أكل
والدتي، ولما جيت لقيت الأستاذ جلال وعفاف هنا،
وبعدين جه الأستاذ أسامة.

أنهت كلامها ببسمة صغيرة، لكنها فجأة انمحت
من وجهها وهي تسمع صوت جلال الخافت يقول
بمشاكسته الفعتاد:

- أنا كنت جاي هنا عشان أعلق الدادة
كان يتحدث وهو يضرب كتفه بكتف ابراهيم غامراً

بعث وهو يشير لعفاف التي لم تنتبه لحديثه، حيث كانت تقف بعيدًا عنهم بعض الشيء، بينما ابراهيم ابتسم بخفوت وهو ينظر لجلال هامسًا:
- تعلقها؟!

ضحك جلال بصخب يدعي غرور ليس به، قبل أن يعلو صوت أسامة الذي انتهى من نصف سيجارته يلقيها أرضًا بملل مصطنع وهو ينظر لساعة يده:
- اعتقد الاستراحة خلصت، اتشرفت يا جماعة بمعرفتكم والله، بس انا عندي حصة دلوقتي، اشوفكم بعدين.

أنهى كلامه بنبرة عادية وهو يرحل بكُل بساطة مُظهرًا سطحية علاقته بالثلاثة أمام ابراهيم الذي ودع الجميع أيضًا ولحق بأسامه ليعود معه للمدرسة، تاركًا الجميع خلفه يتنفسون الصعداء.

قبل أن تعلو صرخة جلال بسبب حذاء عفاف الذي اصطدم في وجهه بعنف شديد بعدما أخبرتها هند ما قاله عنها، فهي بالنهاية لا تقبل إهانة أي سيدة طالما هي حية، انقضت عفاف على جلال بجنون وهي تلقيه بكُل ما تعلم من حديث سوقي، بمساعدة هند التي اسمعته خطبة عن رفضها التام لتسليع المرأة من قبل بعض الرجال الحمقى امثاله، حتى لو بالمزاح.

تحرك أسامة في ممرات المدرسة وهو يتفحص هاتفه باهتمام يبلغ المنظمة كل شيء خطوة بخطوة، يخبرهم بما وجدوه حتى الآن، لكن فجأة توقف عن السير وكأن قدمه التصقت بالأرضية أسفلهُ وهو يستمع لبعض الهمسات التي تأتي من ممر جانبي مُظلم لا يعلم إلى أين يقود، اقترب ببطء وبكُل ما يمتلك من فضول صوب ذلك الممر يستمع لتلك الهمسات دون أن يفهم شيء منها، كل ما

يستلمعه فوق هو صوت أنفاس عالية تتخللها بضع كلمات غير مفهومة.

توقف أسامة في منتصف الممر والذي كان مغلق النهاية ينظر حوله للغرف الموجودة به بيأس، فقد صمتت تلك الأصوات فجأة وكأنهم شعروا بوجوده؛ لذا تراجع بهدوء كبير ينتوي الخروج من هنا قبل أن ينتبه له أحد وتدور حوله الشكوك، لكن ارتفاع صوت الهمسات مجددًا أوقفه، وسماعه لتلك الجملة الغريبة جمده في أرضه:

- ارجوك بلاش أنا، أنا بساعدك دائمًا، بلاش أنا ابوس ايدك مش عايضة اكون مكانهم.

تعجب أسامة من تلك الهمسات لا يفهم منها شيء، لم تترج تلك الفتاة ذلك الشخص؟، وماذا تعني بأنها تساعد دائمًا، وبما تساعد؟! أسئلة كثيرة ملئت رأس أسامة، لكن لم يجد لها إجابة، أنصت مجددًا باهتمام يستمع لشهقات مكتومة مترجمة:

- ابوس ايدك أقنعه بلاش أنا، أنا هجبلكم أي واحدة ثانية والله، بس أقنعه ابوس أيدك.

و لم يتمكن أسامة من الاستماع للمزيد بسبب شعوره بخطوات قرب الباب من الداخل؛ لذا تحرك بكل ما يمتلك من سرعة مبتعدًا عن الباب خارجًا من الممر بأكمله وهو عاقد العزم على معرفة اللغز وراء تلك الكلمات ومعرفة ذلك الذي أشارت له الفتاة في حديثها -أقنعه-، صبرًا كل شيء سيكشف.

توقف فجأة يلمح بطرف عينه تحركات عفاف، تلك الغبية ماذا تفعل هنا ومن المفترض أن تتظاهر حتى بأنها تنفذ وظيفتها.

تحرك بخطوات مدروسة صوب عفاف التي كانت تختبئ خلف أحد الجدران تراقب المكان بشكل مثير للريبة، لتجد فجأة من يمسك بثيابها في عنف

من الخلف، ثم يجذبها ليتوارى بها خلف الجدار بحيث لا يراهم أحد:

- بتعملي ايه يا بلوة أنت، أنا مش قولت كل واحد يلتزم بالوظيفة المحددة ليه؟! الاستراحة خلصت من شوية.

نظرت له عفاف ثواني بحنق وهي تحاول تهدئة ضربات قلبها للمرة الثانية في هذا اليوم، تمد يدها بغيظ شديد محاولة إبعاد يد أسامة عن ثيابها:

- وقفت قلبي يا عو، فكرتك حد مهم يا اخي ارتفع حاجب أسامة بشكل مثير للرعب وهو يقترب بوجهه منها في شكل مربب لتراجع هي فوراً عن حديثها السابق:

- في المدرسة ... اقصد يعني حد من الإدارة وكده، أصل بعيد عنك كل ما حد يلمحني يلبسني في شغلانة أنيل من اللي قبلها، وأنا مش قد البهدلة دي، أنا أخري احشي ورق عنب، اقطف ملوخية، أقمع بامية، أنما شغل التنضيف وكل ده معرفهوش، الله يمسيك بالخير يا بابي كان مدلعي والله.

أطلق أسامة ضحكة ساخرة خافته وهو يردد بسخرية لازعة:

- اسمعي يا مدام عفاف
- أنسة يا حضرت لو سمحت
ضغط أسامة على أسنانه بعنف وهو يدفع بعفاف للجدار خلفها يقول بغيظ شديد:

- والله يا عفاف أما اتعدلتني هخليك مرحومة.
نظرت له عفاف برعب وهي تهمس:

- على فكرة كده مش كويس على سمعتي، افرض حد قفشنا دلوقتي؟ هتتجوزني وتصلح غلطتك؟!
- أصلح غلطة ايه يا عفاف؟ ده أنت نفسك غلطة،

أوعى من وشى قبل ما اطلع غلبى فيك.

وقبل أن يتحرك من أمامها تفاجئ الاثنان بأحد معلمي المدرسة يقف في بداية الممر وهو يرمقهما بعدم فهم، يفتح فمه بصدمة ليتحدث، ثم يغلقه مجدداً كسمكة أسفل الماء.

نظر أسامة بطرف عينه لعفاف يعرض شفتيه بغيظ شديد، قبل أن يتنحى محاولاً التحدث، لكن فجأة قطع حديثه المعلم قبل حتى أن ينطق به وهو يقول بخبث ومكر:

- اممممم وأنت برضو مقضيها مع الدادة؟!

- أنا برضو؟!

اقترب الرجل بخطوات متأنية من الاثنين وهو يضحك غامزًا لأسامة يميل عليه ببطء وهو يهمس في أذنه بصوت وصل واضحاً لعفاف القريبة:

- أصل استاذ جلال قالي أن الدادة هنا قمر وبتتعلق، فكنت جاي اشوف حظي لقيتك سبقتني.

- يا أخي تتعلق من طراطيف صوابك أنت و"جلال" النتن اللي مفكر نفسه "ديفيد بيكهام" وهو شبه عود البقسماط البابت.

ضد الرجل من حديث عفاف، لكن ما صدمه أكثر وهو صوتها الذي على وهي تستعد للهجوم عليه بشراسة لولا يد أسامة التي أمسكتها بسرعة، تصيح في وجهه بجنون:

- اوعى تكون مفكرني من البنات إياهم، لا فوق يا حبيبي ده أنا عفاف أبو المجد، ميغركش إني دادة وبمسح واكنس، لا ده انا امسح بيك بلاط المدرسة كلها لو جبت سيرتي على لسانك.

أنهت حديثها وهي تحاول الإفلات من أسامة الذي أشار بعينه للرجل أن يهرب من أمامها قبل أن تفلت

من بين يديه وتتمكن منه، وكذلك فعل وهو يتراجع راکضاً خارج الممر؛ تلاحقه بعض السبات التي خرجت من فم عفاف.

- خلاص يا فوفا، امسحها فيا وانا هفهم الأستاذ ده أن الغبي جلال هو اللي غلطان وإنك ملكيش دعوة بحاجة وجلال حسابه معايا.

توقفت عفاف عن التحرك وهي مازالت تتنفس بغضبٍ شديد، ثم ابتعدت عنه قليلاً تنظر له بحزن، رغم كل صراخها، إلا أن كلام الرجل جرحها واشعرها بأنها سيئة، تألم أسامة من نظرة عفاف؛ لذا ربت على رأسها برفق وهو يردد بمزاح حتى ينسيها حزنها:

- خلاص يا عفاف روعي شوفي شغلك، وأنا هصلح غلطتي واتجوزك.

أشباح سوداء...

اصوات خافته هامسة بشكل مخيف...

ضحكات مخيفة...

كان ذلك هو كل ما تستطيع مريم رؤيته وسماعه، بينما نظراتها تدور في حجرة الدراسة بشكل مرعب، تشعر كما لو أنها في عالم آخر، عالم أكثر بشاعة من عالمنا ذاك، تنتفض بين الثانية والأخرى وكأن هناك شبحاً مَرَّ بها، تحتضن نفسها بشكل غريزي حتى تمنع كل تلك الأشباح من الوصول لها، فجأة شعرت بأحد يجلس جوارها، استدارت ببطء لتلمح ذلك الجسد الشاحب بجوارها، جسد لفتاة كانت تمثل لها الكثير منذ ايام قليلة، والان أضحت تمثل لها أقصى مخاوفها.

- منار؟!

كانت همسة مرتجفة هربت بصعوبة من بين شفتيها، وهي ترى جسد رفيقتها منار التي انتحرت منذ ايام قليلة تجلس جوارها ترمقها بحزن شديد:

- نستيني يا مريم؟ بعد كل اللي حصل فيا نستيني؟! بس مش مشكلة أنا مش زعلانة منك، أنا هستناك تيجي عندي وعارفة إنك مش هتتأخري.
- أنا أنا ...مش عايزة اجي عندك.

ارتسمت بسمة مرعبة على فم منار وهي تقترب من أذن مريم تهمس لها بنبرة خافته أثارت قشعريرة في جسدها:

- مش بمزاجك يا مريم

- مريم مريم....مريم

أفاقت مريم بفرع من خيالاتها وهي تجد معلمتها تقف جوار مقعدها ترمقها بحزن شديد وشفقة، فهي تناديه منذ دقائق عندما انتبهت لوجهها الشاحب وهي ترمق نقطة فارغة بشرود، بينما عينها تذرف الدمع دون شعور منها بكل بذلك وكأنها سلخت عن عالمتها

- قومي يا مريم روعي لميس هند.

كانت تلك كلمة المعلمة وهي تشير لها أن تنهض للذهاب إلى الأخصائية الاجتماعية الخاصة بالمدرسة، علها تتمكن من مساعدتها ومعالجة تلك الندوب بروحها...

كان يصفر بكّل استمتاع يحرك الصفارة الخاصة به بين إصبعيه بكّل كبرياء، يشعر كما لو أن جميع الفتيات ينظرن إليه بهيام، غروره يصور له أكثر من ذلك في الحقيقة، ابتسم بسمة واسعة وهو يرى فتاتين تنهامسان عليه.

اقتربت الفتاة من صديققتها تهمس في أذنها:
 - بصي أهو الأستاذ الأهل اللي حكيتلك عليه.
 نظرت الآخرة صوبه، لينتفخ صدر جلال أكثر
 وينتفض ريشه كطاووس، يهمس لنفسه بكبرياء:
 - إنك توقع بنت، أسهل من سلق البيض، وخاصة لو
 وسيم زيي.

ما إن أنهى حديثه، حتى شعر فجأة بقدمه تنزلق
 على الأرضية بعنف شديد، وأد كل غروره الوهمي،
 ودفنه تحت تلال الخزي.
 علت صرخات جلال المتألّمة، وارتفعت تأوهاتة
 تزامناً مع سماعه لضحكات عالية وصوت جانبه
 يتحدث بسخرية:
 - مش قولتلك أهبل.

رفع جلال رأسه بوجع وهو يراقب رحيل الفتاتين
 اللاتين كانتا تتهاامسان عليه للتو، شعر بالغضب يملأ
 جسده كله ولم يكذ ينهض من تسطحه حتى سمع
 صوتاً ساخر حاد جواره:
 - إنك توقع راجل، أسهل من المية بسكر، خاصة لو
 أهبل زيك.

أنهت عفاف حديثها وهي تتبعه بضحكات عالية،
 ثم حملت الدلو الذي كانت تستخدمه منذ قليل في
 مسح الأرضية والتي بسببها انزلق جلال أرضاً، تاركة
 جلال يرمقها بغيظ شديد فتوعداً إياها بالجحيم،
 تلك العفاف القذرة.

صوت حشرات الليل، وصوت الضفادع، وصرير
 الرياح، علامات تدل على ليلة جديدة أخرى أتت بعد
 شقاء الصباح، ليلة اتخذها البعض فرصة للراحة،
 والبعض اتخذها وسيلة لتحقيق غاياته.

ضيقت عفاف عينها وهي ترمق النتائج التي

توصلت لها، تفكر في إن كانت يجب أن تخبر أسامة
 أم تنتظر القليل بعد حتى تحصل على تأكيد تام؟!
 لكن لم يمهلهما صوت فتح الباب الفرصة للتفكير،
 أو حتى فرصة للملمة أدواتها التي كانت تجري بها
 الأبحاث.

توقف قلب عفاف فجأة وهي تنظر لكل شيء
 أمامها تستشعر قرب كشفها، تسب نفسها بعنف
 لنسيانها أمر إغلاق الباب، ثواني مرت قبل أن
 تستدير ببطء صوب الباب تتجهز للمواجهة مع
 ذلك الوقح الذي اقتحم خلوتها في غرفتها، وإن
 كانت منذ قليل شعرت بالفزع، فهي الآن على حافة
 الانهيار وهي ترى ذلك الزائر يرمق أدواتها بعدم
 فهم، بل بصدمة واضحة على ملامح وجهه.

فتحت عفاف فمها بنية التبرير، لكن سرعان ما
 أغلقته مُجددًا و....

الفصل الثالث

ها هي أصوات الليل تعلو في الأجواء، معلنة عن وجودها، اصوات رياح وأصوات حشرات الليل، إلى جانب أصوات شخير إبراهيم، كل ذلك لم يتمكن من خفض أصوات عقل أسامة، الذي كان يعلق نظره بسقف الغرفة في شروء كبير، يفكر في كل ما يحدث، يربط الأحداث ببعضها البعض.

الفألصة.

علبة الدواء البيضاء.

الفتاة المربية التي تمتلك جرحاً في رسفها ولا يعلم سبب إضافتها لتلك القائمة.

زفر أسامة بصوت عالٍ وهو يعتدل في جلسته ينظر لظلام الغرفة حوله، يحاول إبعاد تلك الأفكار عن رأسه، يود النوم، جسده يترجاه للراحة، لكن عقله أبى إلا أن يستمر في جلده بالمهمة وما يخصها، ارتدى أسامة خفه المخصص للغرفة، ثم تحرك بخطوات بطيئة للخارج، يقصد حديقة السكن ليدخن سيجار علّ نيران عقله تخرج رفقة دخانها، لكن توقف فجأة حينما كاد يبلغ الحديقة وهو يرى جسد يتحرك في الظلام بشكل مثير للريبة، حيث استمر ذلك الجسد في الاستدارة كل ثانية والأخرى وكأنه على وشك الاستيلاء على بنك أو ما شابه، ابتسم أسامة وهو يمني نفسه بليلة ممتعة، فيبدو أن اليوم زاخر بالأدلة، وها هو دليل اضافي سيضيفه للثلاثة السابقين .

على بُعد صغير من أسامة كانت تسير وهي تخفي نفس العلبة البيضاء في يدها، تتلفت كل ثانية للخلف خوفاً أن يراها أحد قد خرجت ذلك الوقت من غرفتها، ابتلعت ريقها وهي تزيد من سرعة

أقدامها صوب حجرات النوم، تدعو ألا ينتبه أحد لخروجها، غير فنتبه هي لمن يسير خلفها بفضول شديد وحذر وقد انتبه لما تحمله في يدها.

همس أسامة بصدمة وهو يرى تلك العبوة البيضاء تقبع بيد ذلك الجسد والذي يبدو واضحاً من تشكيكه الخارجي أنه جسد أنثى:

- معقولة تكون نفس اللعبة؟!

ويبدو أنه من صدمته لم ينتبه إلى أن همسته كانت عالية للحد الذي جعلها تبلغ مسامع الفتاة التي أسرع في خطواتها حتى كادت تصل للهرولة، بينما أسامة سب في نفسه غباءه وقد فكر لثانية أنه أصبح كفريقه.

ازدادت خطوات أسامة أكثر وأكثر وهو يلحق بالفتاة حتى وصل الأمر للركض خلفها وهي مازالت تخفي وجهها أسفل وشاح ينافس سواده سواد الليل.

علت أنفاس الفتاة برعب وهي تنظر خلفها، ترى شخص يلحق بها دون أن تميز ملامحه بسبب الظلام، لكنها لا تهتم، بالله لا تهتم سوى بالهروب الآن من أمامه قبل أن يمسك بها وتقع في كارثة لن ينجيها أحد منها.

ركض أسامة اقوى حتى أصبح على مقربة من الفتاة؛ لذا تجرأ وتحدث بصوت خافت حاد يجذب وشاحها بعيداً عنها بعنف:

- اقفي، أنت مين؟!

ولم يظفر أسامة بإجابة، بل كل ما تمكن من الحصول عليه هو الوشاح الذي ألقته الفتاة بعنف عليها لينصیب طرفه عين أسامة وتعلو تأوهات، ركضت الفتاة مبتعدة عنه وهي تستغل إصابة عينه

الطفيفة، تركض بكل ما تملك من قوة وكأن حياتها تعتمد على ذلك، وكذلك كان بالفعل، حياتها تعتمد على ذلك.

فرك أسامة عينه بقوة وهو يسب الفتاة بكل ما يعلم من سباب، قبل أن يضغط على الوشاح بقوة، بينما صدره يعلو ويهبط بقوة، ليتأكد الآن أن تلك الفتاة لم تكن تنتوي خيلاً بسبب خوفها ذاك، ربما هي فتاة كانت على وشك الانتحار، وهذا يفسر وجود علبة الدواء معها، وعلى ذكر علبة الدواء، انحنى أسامة يلتقطها من الأرض بعدما سقطت من الفتاة أثناء اشتباكها معه، حملها أسامة وهو ينظر لها بغموض شديد قبل أن يعود لمسكنه وقد ازدادت أفكاره شراسة عن ذي قبل.

ابتلعت عفاف ريقها وهي تحاول إخفاء كل ما كانت تعمل عليه، الأجهزة التي أدخلتها بشكل سري للمدرسة، علبة الدواء التي تحاول الوصول لمكوناتها، وتلك الكتب العلمية التي تستخدمها للبحث عما تحتاجه، كل ذلك كان تحت أنظار الزائر غير المرغوب به، والذي لم ينزع عينه من على تلك الأشياء، مما أثار توتر عفاف وهي تقف؛ حتى تخف بجسدها ما حاولت يدها مواراته منذ ثوانٍ مديدة:

- أنت مين، وازاي تدخلني أوضتي بدون استئذان؟! تحركت عين الفتاة التي اقتحمت الغرفة ببطء حتى استقرت على وجه عفاف تحاول فهم ما رأت، لكن فجأة انتفضت وهي تتذكر سبب حضورها من الأساس؛ لذا سارعت وتحدثت:

- مشرفة المساكن عايزاك عشان تنظفي الغرف.
نظرت لها عفاف بتشنج، ثم حركت عينها ببطء

تنظر الساعة التي تستقر جوار فراشها تردد بعدم فهم:

- دلوقتي؟! اروح أنصف دلوقتي؟! ليه هو بكرة العيد؟!

هزت الفتاة كتفها بخفة وهي تشرح لها ما في الأمر:

- أصل حصلت خناقة بين كام بنت كده وبهدلوا الدنيا وكسروا حاجات كتير وهي قالتلي أجي وأقولك، وأنا عملت اللي عليا وقولت، ألا صحيح هي ايه الحاجات اللي وراك دي؟!

أنهت الفتاة حديثها بفضول كبير تحاول النظر خلف عفاف، لكن عفاف لم تعطها الفرصة وهي تقطع عليها أي طريقة لاقتحام خصوصياتها:

- دي أدوات خاصة بالجامعة بتاعتي، أصل أنا بعمل دراسات عليا جنب شغلي.

فتحت الفتاة فمها بانبهار شديد، وقد نجحت عفاف في خداعها وبسهولة مستغلة صغر عمرها، والذي يبدو أنها لم تتخط الخامسة عشر بعد، ومستغلة تلك البلاهة التي تظهر بوضوح على وجهها، تذكرها ببلاحتها هي وجلال، ابتسمت بسخرية وهي تعترف لنفسها بأنها أحياناً تكون غبية وبشدة.

تنحنحت عفاف وهي تتحرك صوب الفتاة، ثم جذبتها من يدها خارج الغرف برفق بعدما تأكدت من غلق الغرفة جيداً وقبل أن تتحرك صوب حرجة الطالبات التي تحتاج للتنظيف وهي تتمتم بغیظ شديد على حظها الذي أوقعها بتلك الوظيفة القذرة.

كاد أسامة يبلغ غرفته قبل أن يسمع صوت هامس

يصدر من أحد الأركان جذب انتباهه ليتحرك صوبه بحذر، يحاول استكشاف ذلك الوجه المختبئ في الظلام، حتى اتضح له أن صاحب الصوت الهامس لم يكن سوى هند التي ابتسمت لنجاحها في جذبه لها:

- كويس إنني لقيتك برة، أنا كنت لسه هرن عليك تخرجلي.

- هند بتعملي ايه برة أوضتك في الوقت ده، وكنت عايزة ترني عليا ليه؟!

ابتسمت هند وهي تنظر حولها بحذر شديد ثم اقتربت منه وهي تقول بصوت منخفض وبشدة اثار تعجب أسامة:

- أصل النهار ده البنت اللي اسمها مريم رجعت لمكتبي مرة ثانية والمرة دي فهمت منها أكثر اللي بيحصل، مش هتصدق قالتلي ايه؟!

ضيق أسامة ما بين حاجبيه بتعجب لا يفهم ما بها هند؟! ولم لم تنتظر للصباح حتى يجتمع الجميع وتحدث، لكنه رغم كل ما يدور في باله إلا أنه قال بتحفظ:

- قالت ايه؟!

- بص هو أنا مفهمتش اوي، بس هي قالت إن أي حد بتتواصل معاه الفخلصة بينتحر بعدها، وده اللي حصل مع صاحبته منار، والبنت اللي انتحرت قدامنا و....

توقفت هند عن الحديث فجأة وهي تلحظ وقوف أحد خلف أسامة، مما جعل أسامة يستدير بسرعة وتعجب ليتفاجئ بعفاف ترمقهما باستهجان ونظرات مشتعلة غير مفهومة وهي تهمس بسخرية لازعة بعدما قابلتهم أثناء عودتها لغرفتها:

- جرا ايه يا قائد، من امتى وأنت بتعمل اجتماعات مغلقة من غير باقي الفريق؟!

تعجب أسامة لهجة عفاف المفتحفة والتي يبدو عليها الغيظ بشكل واضح، وكذلك تعجبت هند من نبرتها لا تفهم نظرات الغضب الموجهة لها من قبل عفاف، هل غضبت لأنها لم تنتظر حضورها هي وجلال؟! هي فقط لم تتحمل الانتظار للصباح وهي تحمل تلك الأخبار، فهي من ذلك النوع الشغوف وبشدة لا تستطيع التحمل حتى تخرج كل ما بجعبتها.

- ولا احنا مش قد المقام يا بيه؟! اكمني يعني دادة وأنت مدرس انجليزي على ما تفرج.
أنهت حديثها بسخرية تتابع نظرات أسامة المصعوقة منها ومن تصرفاتها:

- عفاف أنت اتجنيتي؟! ايه اللي بتقوله ده؟!
- بقول ايه يعني؟! الحقيقة يا عو، أنا قلبي كان حاسس إنك مش بتطيقني لا أنا ولا جلال أساسًا، و....

توقفت عن الحديث فجأة وهي تشعر بيد أسامة تجذبها بعنف شديد له، غير سامحًا لها حتى بالصراخ وهو يضع يده على فمها ساحبًا إياها للممر الذي تقف به هند وهو يشير لهما بالصمت، بينما عفاف تتحرك بين يديه بعنف شديد وهو فقط يشدد من ضمه لها أكثر، يحذرهما بعينه أن تتهور وتفعل شيء، انتبه الجميع لصوت خطوات يعبر من أمام الممر بهدوء، ثم رحل ويبدو أنه الحارس.

في تلك الأثناء كانت عفاف تنظر لأسامة نظرات هادئة تشرد في ملامحه ببلاهة، غافلة عن هند التي فتحت فمها بصدمة تدرك الآن حقيقة لم تنتبه لها سابقًا، حقيقة ضربتها كالصاعقة، عفاف ثحب

أسامة!

تنفس أسامة براحة وهو ينظر لعفاف؛ حتى يوبخها، لكنه توقف فجأة وهو يرى نظرتها له، نظرة سحبته دون أن يدري ليتأمل ولأول مرة عيناها، بنية اللون، واسعة تحدها رموش تحرسها كما الجنود على الحدود، فجأة انتبه أسامة على نفسه بسبب تنحنح هند التي شعرت بالحرص مما يحدث أمامها.

انتفض أسامة تاركًا عفاف التي بمجرد أن تركها خرجت من حالتها تلك وهي تقول بصوت حائق:

- تعرف يا قائد، أنا كنت جاية عشان أقولك على اللي عرفته ويخص العلبة البيضة دي نظري، بس شكلي هخليك تعرف اللي وصلت ليه عملي.

رمقها أسامة بغباء لا يفهم مقصدها، لتتطوع هي بكُل فخر وتشرح له وهي تقترب منه تربت على كتفه بتهديد:

- خاف على نفسك يا عو، وخاف من أكلك بعد كده لإنني أنا اللي بعمله ومتعرفش يمكن تلاقي شوية سم هنا ولا هنا.

أنهت حديثها تاركة إياه ينظر لها بصدمة ثم ابتسمت بفخر وقد انتقمت منه على لا شيء، هي لا تعلم لم تتحدث هكذا؟! لكنها شعرت براحة كبيرة وهي تهدده، تحركت لخارج الممر تسير بخيلاء رافعة رأسها للأعلى وهي تبتسم بسمه جانبية خبيثة، قبل أن تشعر فجأة بجذبة قوية لثيابها وصوت حائق يقول من بين أسنانه:

- بتهديني يا مدام عفاف؟! والله عال مبقاش غير موظفين السجل المدني يهددونني؟!

- الله الله الله، مالهم بقى موظفين السجل

المدني؟! هنخبط في الحل ليه بقى؟! ولا تكونش صورتك في البطاقة الشخصية وأنت شبه كوز الدرة الفاسدة لسه وجعاك؟!!

اغتاظ أسامة وبشدة من حديثها الساخر ذاك، يتذكر يوم رأت بطاقته بالصدفة لتستمر أسبوع كامل تضحك كلما لمحت وجهه، لكنه رغم ذلك رفع ثيابه بين يديه أكثر، حتى كادت قدمها لا تلمس الأرض وهي تبدو كأرنب مسكين وقع بين يدي صاحب المزرعة الذي يستعد لذبحه:

- تعرفي أنت باقي ليك معايا تكة، تكة واحدة يا مدام عفاف وهطلعك معاش مبكر تقطفي ملوخية وتقمعي بامية جنب الحاج.

تدخلت هند في الحديث فوزًا وهي تقول بحنق شديد وعينها تكاد تحرق يد أسامة التي تمسك بعفاف بهذا الشكل الهمجي مستغلًا قوته.

- لو سمحت يا قائد نزل ايدك، متفردش عضلاتك عليها اكمنها مسكينة يعني.

أشار أسامة لعفاف بصدمة وهو يفتح فمه وكأنه يقول لها " هذه مسكينة؟! "، لكن هند لم ترأف به أو بنظراته التي تخبرها بوضوح أنه الضحية هنا وليس عفاف:

- ثم أنك تستغل قوتك قدام ست بالشكل كده، مش لطيف في حقك في صدقني

- أنت مكنتيش معانا وهي بتقولي إنها هتسمني ولا ايه؟!!

- كلامها خرج في لحظة غضب، وحقها على فكرة، حقها تدافع عن نفسها بالشكل اللي هي تشوفه صح، حتى لو الشكل ده أنها تسمك.

هزت عفاف رأسها بنعم وكأنها تؤيد حديث هند

وبشدة، رغم جهلها لبعضه، إلا أنها تساندها طالما أنها تدافع عنها.

ترك أسامة عفاف بعنف حتى كادت تسقط أرضاً ثم قال ببسمة غير مصدقة:

- فعلاً الست كائن في غاية الهشاشة.

ورغم أن الحديث الأخير من أسامة كان ساخراً، وكان واضحاً لهند أنه سخرية، إلا أنها ابت إلا أن تعلق عليه، حتى ينتبه في المستقبل لعدم ذكر هكذا أمور ولو على سبيل السخرية:

- الست مش هشة، الست ربنا رزقها بقوة تحمل حتى الرجالة أنفسهم ميملكوهاش.

أوقفها أسامة في حركته المعتادة معها حينما تندمج في نقاشها وهو يقول بجدية كبيرة:

- اششش، كلنا مصطفى ابو حجر، واحنا مُجتمع ذكوري مُتعفن، لا لتصليع المرأة.

- تصليع المرأة؟!

هكذا رددت هند ببلاهة وهي تراقب رحيل أسامة بكل بساطة بعدما تلي عليها شعاراتها التي ترددها باستمرار، باستثناء " تصليع المرأة " تلك، هل يقصد الإهانة والسخرية منها؟! لذا استبدل " تصليع المرأة " بـ " تصليع المرأة "؟!

انتبهت هند فجأة من أفكارها على صوت عفاف التي كانت تقف جوارها ترمق رحيل أسامة بلا اهتمام ظاهر:

- هو عايز يصلع المرأة ليه؟!

مكان مظلم رطب يكاد يخلو من الهواء، هذا غير الرائحة العفنة التي تُزكم الأنف، ممر طويل ضيق يكاد لا يتسع لمرور شخصين سوياً، في نهاية الممر

يقبع باب خشبي صغير، وخلف ذلك الباب غرفة واسعة على عكس الممر، غرفة كبيرة مظلمة لا يصل لها أي نور سوى من نافذة صغيرة تقبع في أحد الأركان وتسلط أضوائها على منتصف الغرفة حيث يقبع جسد منحنى وحوله العديد والعديد من الأشخاص الذين يغطون وجوههم بمعاطف سوداء.

كان الأشخاص أصحاب المعاطف السوداء يرتصون في دائرة حول ذلك الجسد الذي يقبع في مركز الدائر يرددون بعض الكلمات بأصوات مُتناغمة مع بعضها البعض، كلمات غريبة بعض الشيء على مسامع أي أحد، يتجاهلون ارتجاف ذلك الجسد.

تحرك أحد الأشخاص أصحاب المعاطف ليقف أمام ذلك الجسد والذي اتضح أنه لفتاة ثم رفع قبعته ليظهر من أسفلها وجه ملئ بالحلقات المعدنية والرسومات الغريبة التي تحتل جبينه وأيضًا أسفل عينيه، أخرج الرجل يده من معطفه لتنعكس الإضاءة على السكين التي يحملها، ارتجفت الفتاة التي تقبع أمامه وعلت الشهقات أكثر والتوسلات الضعيفة التي تخرج من بين شفتيها، توسلات عند سماعك إياها تشعر أنها خارجة من شخص يصارع الموت:

- أرجوك ارحمني، أرجوك لا، يعمل اللي تطلبوه، أرجوك سيبنني.

لكن الرجل لم يهتم لها ولا لتوسلاتها، بل علت أصوات الترنيمات التي تخرج من فم الرجال أكثر وأكثر، وجسد الفتاة يزداد ارتعاشًا، تود أن تنهض لتركض من هنا بعدما تم خداعها واستدراجها لهذا دون أن تشعر، رفع الرجل سكينه عاليًا وهو يجذب يد الفتاة وسرعة ترديده للترنيمات تزداد أكثر وأكثر، ثم فجأة وفي غفلة عن الفتاة شق رفسها

تزامناً مع ارتفاع صرخاتها، وانهمار دمانها لتملأ أحد الكؤوس التي تقبع أسفل يدها مباشرة، وتعلو التهليلات تباغاً لذلك.

كان ينام بعمقٍ على فراشه وهو يتمتم ببضع كلماتٍ ما بين الحلم واليقظة، يتقلب يميناً ويساراً دون أن يجد وضع مريح لنومته، وأثناء تقلبه ذلك سمع صوت قادم من أسفله، أو بالأحرى من أسفل الفراش، ضيق جلال ما بين حاجبيه وهو ما زال يُغمض عينيه يحاول إبعاد تلك الأفكار عنه، لكن ذلك الصوت الذي سمعه ارتفع فجأةً ليصل إلى مسامعه صرخات عالية مخيفة، جعلته ينتفض من فراشه وهو ينظر حوله بصدمة يحاول استيعاب ما سمعه، صوت صرخات مخيفة، يقسم أنه سمعها بوضوح.

- مين؟! مين هنا؟!

ووصلت له الإجابة على هيئة صرخات أخرى جعلته يبتلع ريقه حتى يكبح دموعه، يمنعها من النزول مذكراً نفسه أنه رجل قوي لا يبكي، وكأن البكاء أضحى علامة للضعف، ابعد جلال الغطاء عن نفسه قليلاً ينظر لرفيقه في الغرفة الذي يغط في نوم عميق لا يشعر بما يحدث حوله، أو ربما كل ذلك نتاج خيالات من رأسك جلال.

هكذا همس جلال لنفسه يحاول طمأنتها قبل أن يسمع صرخة أخرى أعلى من سابقتها وكأن هناك أنثى تُعذب، تحرك جلال بخطوات حذرة صوب زميله في الغرفة يهزه برفق:

- بقولك، أنت يا أخي.

- اسكت شوية عايز أناام الله لا يسينك.

علت الصرخات أكثر مما جعل جسد جلال ينتفض أكثر وأكثر وهو يزيد من عنف هزاته للشاب:

- أنت مش سامع حاجة؟!

تأفف الشاب المسجى على الفراش وهو يجذب الفراش أكثر على وجهه:

- سامع صوت شخيري وأنا نايم متكيف من غير دوشتك.

- بقولك فيه اصوات غريبة هنا.

صمت ثم همس بصوت خافت أكثر:

- أصوات عفاريت، المكان ده مسكون وتقريبًا في روح متعذبة هنا ولازم نخرجها.

اعتدل الشاب في نومته وهو يرمق جلال بشكل جعله يتراجع للخلف خوفًا من غضبه، خاصة مع حجمه الذي يصل تقريبًا لضعف حجمه هو:

- اسمع أما أقولك يا جدع انت، كلمة كمان وانا اللي هخرج روحك، وبدل ما هي روح واحدة متعذبة هبعثك تأنس وحدتها.

أنهى حديثه بنظرات حادة جعلت جلال يهز رأسه بغباء وهو يتركه فبتعدًا عنه، ينتوي أن يذهب للنوم ويبعد تلك الخيالات عن رأسه، لولا ارتفاع الصرخات فجدةً بشكل جعله يترك الغطاء الذي كان قد حمله استعدادًا للنوم وهو يركض للخارج برعب أثناء نظره للخلف ليشعر فجأةً بجسده يهوى أرضًا بعدما ارتطم بجسد آخر، ولم يحثج للنظر أين سقط بسبب سماعه لذلك الصوت الفميز والذي يعلمه جيدًا:

- قوم يا أخي قامت قيامتك، كسرت ظهري منك لله.

تحرك جلال من فوق هند بسرعة كبيرة وهو ينظر خلفه برعب ثم أمسك يد هند بلهفة وكأنه غريق عثر على قشته وأخيرًا:

- هند فيه عفاريت جوا، في الأوضة سامع صوت واحدة بتصرخ.

توقف عن الحديث وهو يرى نظرات الجهل تعلو وجه هند قبل أن يجذب يدها بقوة للغرفة يتحدث بخفوت خوفاً من سماع زميله في الغرفة له:

- تعالي اسمعي والله سمعت صوت صريخ و....

قاطع حديثه في محاولة إثبات صحة عقله، صوت شخير يعلو في الغرفة ولم يكن سوى شخير زميله، مما رسم السخرية على وجه هند وهي تقول:

- صوت صريخ ولا صوت شخير يا جلال؟! روح نام أنا مش فايقة.

أنهت حديثها وهي تترك جلال يقف ينظر لرحيلها بصدمة يهمس وهو يشير لداخل الغرفة:

- دي بتتعذب يا ناس، أنتم ايه كلكم مبقتوش تسمعوا خالص؟!

ارتفع شخير الشاب الآخر مجدداً وكأنه يؤيد حديث جلال مما دفع جلال للتحدث بجدية:

- عندك حق والله، أنا هسيبكم كلكم في غفلة كده لغاية ما الروح تطلع وتاخدكم واحد واحد، واعيش أنا بس ووقتها هتندموا، كلكم هتندموا.

- ما تتخمد يا عم بقى وبطل شغل الأجني بتاعك ده عايزة اريحلي ساعتين، بدل والله قوملك واخليك أنت اللي تندم.

صمت جلال فجبزاً ثم تحرك لفراشه؛ حتى ينام خاصة بعد توقف صوت الصرخات، لكنه مازال يردد أن الجميع سيندم، وهو الوحيد من سينجو من كل ذلك، نعم هو من سينجو مما سيحدث، وهو من سيخبر العالم بما حدث، ويكشف كل الأسرار.

هكذا أخبر جلال نفسه قبل أن يسقط في النوم،

استعدادًا ليوم جديد من العمل الذي لا يقوم به على أية حال.

أصوات تأفف تعلو، وتململ الجميع واضح للعيان، لكن لا أحد يتجرأ وينطق بكلمة ويقاطع حديث المديرية الذي تلقى منذ ساعتين تقريبًا، ساعتين من التقرير والحديث عن الانفلات بين الجميع، وعدم الانتظام والهرج في مساكن الفتيات بسبب المشاجرة التي حدثت البارحة في إحدى الغرف.

- اللي حصل ده يا أساتذة ميتكرررش ثاني، كان ممكن بسبب خناقة زي دي حد يتأذى.

رمق أسامة المديرية وهي تصرخ بكلمات غاضبة زاجرة للجميع، وفكر فيها بجدية كبيرة، كيف تقيم تلك السيدة اجتماعًا عاجلاً لأجل شجار سخي بين فتاتين، وتتجاهل أمر خطير كحالات الانتحار في المدرسة؟! تتعامل مع الانتحار وكأنه شيء روتيني يُعاد كل يوم أمامها، ويبدو أن الفعاد أضحى مُعتاد.

كانت المديرية ما تزال تصرخ وتهدد بأخذ إجراء صارم ضد من يتجاوز نظام مدرستها، لكنها توقفت فجأة وهي تستمع لرنين هاتف يصدح في المكان مقاطعًا إياها بكل بوقاحة، دارت الأعين في الغرفة على جميع الأوجه لمعرفة من صاحب رنين الهاتف السخيف ذلك، حيث كان يضع موسيقى سخيفة كنغمة لهاتفه.

استقرت الأعين كلها على جلال الذي كان يضم ذراعيه بحنق وهو ينظر أمامه غير منتبه للأعين التي ترمقه باستنكار.

- حضرتك المفروض تقفل تليفونك قبل الاجتماع. هكذا تحدثت إحدى الفلعات بغيظ من لا مبالاة

جلال، والذي اعتدل في جلسته وهو ينظر بهاتفه الموضوع أعلى الطاولة أمامه:

- اه اسف، معلش بس كنت مستني اتصال مهم ومش هينفع اتجاهله.

أنهى حديثه بكلّ حمق جعل فك الجميع يتدلى في بلاهة، ما دخلهم واتصاله؟! هم فقط يودون أن يوقف ذلك الرنين المزعج، ويلتزم بالتعليمات التي تنص على غلق الهواتف قبل بدء أي اجتماع، لكن يبدو أن جلال وجد وأخيرًا فرصته لاستعراض ريشه أمام الجميع يجيب على الهاتف بكلّ جدية:

- الو، أيوة أنا جلال الأبنودي، مين معايا؟! لا يا فندم للأسف الفترة دي انا منشغل جدًا بعمل مهم، كان نفسي اساعدك بس للأسف غير متفرغ تقدر ت....

توقف جلال عن حديثه مُنتفضًا كما انتفض البعض من ضربة مديرة المدرسة على الطاولة أمامها تصيح في وجهه بغضبٍ مُخيف:

- أستاذ جلال.

تمسك جلال بالهاتف وكأنه سيطير من بين يديه من شدة خوفه، ابتلع ريقه وهو يهمس بصوت منخفض لصديقه الذي ادعى أنه شخص مهم يطلبه لعمل أهم:

- طب اقفل يا حسن، اقفل الله يسامحك هتكدر بسببك.

توقف عن الحديث وهو يدرك أنه اوصل المديرة لأقصى مراحل غضبها، فنظراتها تكاد تشعله وهو حي، هذا إن تجاهلنا بالطبع نظرات أسامة الذي كان يضغط على قبضته بشكل أروع وبشدة، تمتع جلال وشعور بالمرارة يملئ حلقه:

- بعذر هقفل التليفون اهو.

في ذلك الوقت سمع الجميع طرق على الباب تبعه دخول عفاف وهي تحمل صينية مليئة بالمشروبات والمياه للجميع، ثم بدأت توزعها على الجميع، حتى وصلت لأسامة، وضعت الصينية أمامه، وقبل أن يمد يده لالتقاط الكوب. كانت عفاف تسارع وهي تلتقط الكوب ترتشف منه دون أن تنظر حتى لأسامة وهي تنتبه لحديث المديرية التي تابعت من حيث قاطعها جلال:

- معظمكم هنا تحت التدريب لمدة معينة، وبعد المدة دي هيتم تثبيت اللي يستحقوا الوظيفة، اتفضلوا على فصولكم يا أساتذة الاجتماع خلص.

أنهت حديثها بكل بساطة دون حتى أن تتطرق لأمر الانتحار، أو أسبابه أو غيره، وكأن ما يحدث في مدرستها لا يعنيها.

تحرك الجميع للخارج وصوت الهمسات فيما بينهم تعلو عفا إذا كانوا من بين المرشحين للبقاء أم ماذا؟! أثناء خروج جلال سمع رنين هاتفه يعلو مجددا ليسارع بالإجابة في لهفة شديد، لكن أسامة لم يمنحه الفرصة للتحدث وهو يسحب منه الهاتف بقوة يضغط عليه حتى كاد يهشمه قطع صغيرة، بينما عين جلال تكاد تخرج من مكانها وهو يفتح فمه بصدمة:

- ايه، أنا عملت ايه؟!

خرجت إجابة أسامة من بين أسنانه يحاول كبت جماح عقله الذي يصور له طرق قتل مبتكرة للتخلص من تلك الافة البشرية، خوفاً من انتشارها بشكل يسبب عدوى ما:

- عملت ايه؟! عملك اسود ومهيب، يعني مش كفاية مش شايف شغلك كويس ولا بتدور معانا، لا وكمان عايشلي حياتك بالطول والعرض والارتفاع؟! وبتتكلم بفخر (أيوة أنا جلال الابنودي)، ولا كأنك "عبد الرحمن الابنودي"، فوق يا جلال محدش يعرفك غيري أنا وهند وعفاف، وكمان عفاف بتتبرى من معرفتك.

- فيه ايه بس مالك متعصب كده ليه؟!

ونظرة أسامة أخبرته بالكثير والكثير قبل أن يتحرك من مكانه بعد زجره لجلال بحدة اخافته وبشدة، وأخبرته بكل وضوح أن نهايته اقتربت، وعلى يد الـ "عو"، وها هي قصص والدته تصدق وسيقتله العو كما كانت تخيفه وهو صغير، لكن يبدو أن ذلك العو أكثر إخافة من ذلك الذي كان يختبئ أسفل فراشه وهو طفل.

عاد الجميع لعمله فجدداً بعد انتهاء الاستراحة التي انقضت في الاجتماع الطارئ، دون أن يتمكن أفراد الفريق من الاجتماع للبحث حول آخر تطورات القضية.

كان أسامة يقف كعادته في الفصل وهو يشرح، أو بمعنى أصح يقرأ ما حضره سابقاً من دروس، هو لا يفقه بها شيء، فرغم طلاقته في الانجليزية، إلا أنه لا يعلم كيف يشرحها، أو كيف يوصل معلومة لأحد، وربما تلك إحدى مشكلاته مع "سرب البط البلدي" خاصته.

وإثناء حديث أسامة كانت عينه تتحرك في المكان كله بحثاً عن الفتاة نفسها صاحبة الجرح، لكنه لم يجدها، ولم يستطع حتى السؤال عنها بسبب جهله باسمها؛ لذا فكر سريعاً بحجة أخذ أسماء الحضور

ليسجلهم، تحرك بهدوء صوب قائمة بالأسماء تعلق على جدار الفصل جوار الباب ثم أخذ يقرأ الاسماء بهدوء، ينتظر أن يعلم من لم يحضر اليوم، وبعد الانتهاء تمامًا اكتشف أن هناك اثنتين لم يحضرا.

صمت وهو يعود لمكتبه ثم قال بهدوء عادي وهو يحمل دفتره:

- حد يعرف البنات اللي محضرتش؟! يعني ايه سبب عدم انتظامهم؟!

نظرت الفتيات لبعضهن البعض بتعجب لوهلة، فهذا أول شخص يهتم بأمر كهذا في المدرسة، لكن رغم ذلك تحدثت فتاة باحترام شديد تبرر له:

- سلمى يا مستر تعبانة أوي وعشان كده الممرضة بتاعة السكن كتبت ليها راحة، لكن مي...

صمت قليلاً قبل أن تقول بخفوت شديد وصوت يقطر وجعاً:

- مي ميتة، ولسه القائمة متغيرتش من بعد موتها عشان كده اسمها لسه موجود.

صدم أسامة من حديث الفتاة، رباه كم فتاة فقدوا؟! كم صديقة خسروا؟! ولم من الاساس يحدث كل ذلك، لم يضطر هؤلاء لتحمل مرارة فقدان؟! من له يد في ذلك؟!

أسئلة كثيرة احتلت عقل أسامة، لتزيد من تشوشه، وهو يمسح وجهه يحاول التركيز، حديث الفتاة يعني أن صاحبة الجرح هي سلمى، لا يعلم لم يهتم كثيرًا لهذا الشأن؟!، فهي مجرد فتاة عادية بجرح في يدها، أعني الجميع يُجرح يوميًا، لم الاهتمام الآن؟!

أخرجه رنين الجرس الذي أعلن انتهاء الحصة من أفكاره لينهض يرتب اشيائه ليخرج، لكن فجأة

توقف قبل أن يخرج وهو يلاحظ إحدى الفتيات التي تجلس في ركن وحدها بوجه شاحب وكأنها على وشك الموت، ارتاب أسامة كثيرًا وهو يتحرك لها هاتفًا بجدية:

- أنت بخير يا أنسة؟! شكلك تعبانة، ممكن تروحي للممرضة لو حاسة نفسك مش كويسة.

انتفضت الفتاة في مقعدها وكأنها لم تتوقع هكذا سؤال، خاصة أنها جاهدت طويلًا لإخفاء نفسها طوال الحصة كلها، فهي لا قبل لها بأي مواجهة مع أحد، ابتلعت الفتاة ريقها، ثم ادعت أنها تدخل دفترها للحقيبة:

- أيوة يا مستر أنا بخير، بس الفترة دي بسهر عشان امتحانات الشهر.

هز أسامة رأسه باقتناع نسبي قبل أن يتبخر كل اقتناعه ذلك وهو ينتبه ليد الفتاة التي تحوي جرح في نفس مكان جرح الفتاة الأخرى ليبدأ عقله كعادته في العمل بلا توقف وهو ينظر في وجه الفتاة بنظرة غامضة جعلت الفتاة ترتعش بلا مبرر وتسقط أشياءها أرضًا، لولا صوت المعلمة التي دخلت تستأذن أسامة بسبب بدأ حصتها الخاصة.

استدار أسامة ببسمة عملية للمعلمة، يردد بخفوت:
- اه معذرة، أنا خلصت، اتفضلتي.

أنهى أسامة حديثه وهو يلقي نظرة أخيرة على يد الفتاة جعلتها تخفي يدها سريعًا، ثم تحرك للخارج ببطء، وفي رأسه تتصارع مئات الأفكار كما لو أنها في حرب، على من تنتصر لتؤرق مضجعة اليوم.

مسحت عفاف العرق الذي يسيل منها، وقد انتهت للتو من تنظيف المكان، وايضًا انتهت من

كل السباب التي تملكها، والتي خصت بها أسامة، والمنظمة وكل من له يد في الوصول بها لتلك الحال، نظرت عفاف نظرة سريعة على المكان تتأكد من أنها أنهت كل شيء كما يجب، قبل أن تقع عينها على بعض زجاجات المواد الكيميائية التي خارج رفها الخاص، فهي منذ ساعات تحاول تنظيف معمل الكيمياء بشكل جيد.

تحركت بخطوات حذرة صوب الطاولة حتى لا تلوث الأرضية بعدما انتهت منها للتو، وقفت أمام الطاولة تنظر للزجاجات باهتمام شديد، ثم حملتها بحرص، صوب بعض الرفوف بعدما قرأت ما دُون عليها، ترتبها بيد خبيرة تتعامل مع تلك الأشياء كثيرًا، وليس يد مجرد عاملة تنظيف، وكان هذا نقطة في صالحها خاصة في تلك اللحظة وعينها تلتقط زجاجة تحوي سائل جعلها تترك كل ما بيدها، ثم حملته باهتمام شديد تقرأ ما دُون عليه باهتمام سرعان ما انقلب لصدمة وهي تهمس:

- يا ولاد ال....

يوم آخر انتهى في تلك المدرسة، يوم آخر حمل العديد والعديد من الأسرار، والكثير من الأدلة وغيرها من التصادمات، كان جلال ما يزال يجلس في غرفته ينظر في هاتفه باهتمام شديد يحدث فتاة من المدرسة باسم وهمي علّه يصل لشيء ما بعدما علم صفحتها الشخصية بالصدفة أثناء الاستراحة التي منحها لفصلها، الأمر خطأ يعلم، لكنه فقط دخل على هيئة صديق يحتاج مساعدة منها، ثم أخذ يتعرف عليها أكثر وأكثر، وهي بدأت تندمج معه بشكل أكبر.

ابتسم جلال وهو يلاحظها تكتب له بشغف كبير عن يومها وما رآته به، لكن قطع كل ذلك رسالة

غامضة من أسامة تخبرهم أن يجتمعوا على وجه السرعة خلف المدرسة، رسالة أسامة أثارت ريبة جلال، خاصة بعد حديث أسامة عن التوقف عن الاجتماع في المدرسة بعدما امسك بهم ابراهيم ذلك اليوم؛ إذا ما الذي غير ذلك الآن؟!

لم يهتم جلال كثيرًا بتلك الأفكار وهو يخرج من غرفته بحرص شديد؛ حتى لا ينتبه له أحد، لكن أثناء خروجه تعرقل بقوة ليسقط على وجهه بعنف جعله يغمض عينه بغيظ شديد، يا الله كم يكره حظه العسر هذا!!

تجاهل كل ذلك وهو يحاول النهوض، لكنه توقف عن هذا فجأةً وهو ينتبه للأرضية أسفل، يشعر أن سقطته أحدثت صوتًا مدويًا، كما لو أنك أسقطت شيء ما على صندوق خشبي فارغ، لا يدري كيف انتبه للأمر، ربما بسبب أن والده نجار، وهو قضى بين الأخشاب أكثر مما قضى بين البشر، وعلم جيدًا كل ما يخص الأخشاب وغيرها من الأشياء.

تحرك جلال ببطء وحرص وهو يحرك يده بهدوء على الأرضية وكأنه يقوم بمسح شيئًا ما من عليها ثم طرق بهدوء شديد ليجد صدى الصوت أسفل يده، ابتسم بسمة غير مصدقة، ثم تحسس الأرضية وهو يعيد الكرة، ومجددًا شعر نفس الشعور، ما يشعر به الآن له تفسير واحد فقط، هناك قبو أسفل الغرفة تلك وبوابة ذلك القبو تقبع الآن أسفل يده، بعدما اكتشفها بشكلٍ أغرب ما يكون...

الفصل الرابع

هواء خفيف لطيف، يصطدم بوجهها في لمسات خاطفة حنونة، وكأنه يربت عليها، أو يقبلها بكل لطف، ابتسمت عفاف وهي تغلق عينها تستمتع بتلك النسمات العليلة من الهواء، تأخذ شهيقًا، ثم بعدها تخرجه زفيرًا في هدوء شديد، لكم تحب ذلك السلام النفسي، حيث تلغي أحزانها من حياتها كليًا، كررت عفاف نفس الأمر وهي تتنفس بروية، لكن فجأة انتفضت من مكانها وهي تستمع لصوت جوارها يهتف بتعجب:

- ايه يا عفاف هتغطسي ولا إيه؟!

رمت عفاف نظرة سريعة على أسامة، ثم تجاهلت سؤاله وهي تعتدل في جلستها تنظر للأمام بشروء وكأنه ليس موجود بالمرة، تاركة أسامة ينظر لها بصدمة، هي تجاهلته للتو، تجاهلته بكل وقاحة، تلك الفتاة يجب أن يوقفها عند حدها، يبدو أنها بدأت تنسى من القائد هنا.

قاطع افكار أسامة الثائرة في تلك التي تجلس جواره بلا اهتمام، صوت هند وهي تقول بجدية كبيرة:

- خير يا قائد، ايه الاجتماع الطارئ ده؟!

نظر أسامة نظرة أخيرة لعفاف، ثم بعدها تطلع في هند وهو يقول بنبرة هادئة يشير لها للجلوس على أحد المقاعد المحطمة بعض الشيء، لكنها تصلح للجلوس في النهاية:

- لما يجي جلال هقول اللي عندي عشان مش عايز اعيد كلامي.

سمع أسامة همسة ساخرة تصدر من تلك التي تقبع جواره:

- ما تكرر كلامك يا خويا وتحلل القرشين اللي بتأخذهم، أنت يعني بتعمل حاجة عليها القيمة غير الكلام؟!

استدار أسامة بعنف صوب عفاف ونظراته كانت تعبر وبوضوح عن صدمته من حديثها، تلك العفاف جنت بالكامل، هي لم تكن هكذا سابقًا، أين ذهبت عفاف التي أقصى ما يمكنها الحديث به هو آخر طبق أعدته في البيت؟!

لاحظت هند النظرات بين أسامة وعفاف، والشرارات التي تخرج من الأعين تكاد تحرق المدرسة بمن بها، قاطع ذلك الجو المشحون حضور جلال وهو يبتسم بسمة غبية يقول:
 - معلىش اتأخرت عليكم يا جماعة.

انتزع أسامة عينه بصعوبة من على وجه عفاف التي كانت تجاهد للحفاظ على رباطة جأشها، تبتلع ريقها كل ثانية، تمنع نفسها بصعوبة من الاستدارة و رؤية ردة فعله على حديثها الذي تعمدت أن يصل لمسامعه.

تنحى أسامة يجلي حلقه، ثم أشار لجلال أن يجلس على المقعد جوار هند، وبعدها بدأ كلامه بجدية كبيرة:

- أنا جمعتكم النهارده عشان....

- مش فاضي بكرة.

هكذا قاطع جلال حديث أسامة الجاد برميهِ واحدة من أقدم النكات السخيفة المعروفة في التاريخ، ثم تبعها بضحكة سخيفة عالية، ليشعر فجأة بحذاء يصطدم في وجهه وصراخ أسامة يعلو مُحذراً إياه:

- كلمة كمان وأنا اللي مش هخلي بكرة يجي عليك

يا سفيه.

صمت وهو يتمالك غضبه، ثم أضاف:

- كنت بقول ايه؟! اه، لازم نبدأ نتوزع ونشتغل بكل جدية، فترة التدريب مش كبيرة وفيه بعض المعلمين هيمشوا، ويا عالم حد منا هيكون منهم ولا لا؟!!

كانت كلمته الأخيرة موجهة لشخص بعينه، ولم يحتج أسامة أن يوجه له الحديث مباشرة فهو يعلم نفسه جيدًا، تملل جلال في جلسته وهو يلوي شفتيه بحنق، يستمع لكلمات هند المصححة:

- والمعلمات، بعض المعلمين والمعلمات لو سمحت، احنا مش نكرة عشان تـ...

أوقفها أسامة عن الحديث وهو يرفع يده في وجهها قائلاً بجدية حتى يتجنب النقاش العقيم - من وجهة نظره - الذي سينشأ معها:

- بعض المعلمات والمعلمين، تمام كده؟!!

أنهى حديثه ببسمة صغيرة، ثم نظر للجميع وهو يؤكد على حديثه:

- دلوقتي عايز اعرف كل واحد وصل لايه؟، وعلى حسب اللي وصل ليه هقول يعمل ايه.

تنحنحت هند وهي تلقي بنظرة سريعة على عفاف تعيد نفس حديثها الخاص بالأمس:

- هو أنا عرفت من البنت أن أي واحدة بتنتحر، قبلها بتوصل ليها رسالة من حد بيسموه " الفحلصة"، والرسالة دي بتكون بمثابة إشارة عشان ينهوا حياتهم، وللأسف معرفتش أكثر من كده.

أنهت حديثها وهي تحاول تجنب نظرات عفاف التي كادت تحرقها، لا تفهم ما بها عفاف، هل تظنها منجذبة لأسامة بحق الله؟!!

تحدثت عفاف بجدية وهي تتجاهل النظر لأسامة،
موجهه حديثها لهند وجلال:

- المادة اللي كانت في اللعبة، عبارة عن سم سريع
المفعول، لكنه مش سم واحد، أو مادة واحدة، بل
هو خليط من سموم كثير ومادة معينة بتسهل
امتصاصه في الجسم بشكل أسرع من أي سم،
وده اللي بيخلي تأثيره يظهر في دقائق قليلة جدًا،
والمادة دي صعب جدًا حد يحصل عليها، وتقريبًا
مش متوفرة غير في شركات الأدوية الكبيرة أوي،
لكن...

صمتت عفاف تاركة اعين الجميع تكاد تخرج من
الفضول والحماس لما تقول:

- لكن بالصدفة وأنا بنصف معمل الكيمياء لقيت
أزازه فيها نفس المادة، وقتها ربطت بينها وبين
السم اللي معايا.
- ده معناه إنه؟!

هكذا طرح أسامة أفكاره، ولم يكن سؤال بقدر ما
كان تقرير بما فهمه وما وصل له وللجميع من حديث
عفاف، لتؤكد عفاف حديثه بهزة خفيفة من رأسها:

- السم بيتم تحضيره هنا في معمل المدرسة،
ووجود مادة زي دي أكبر اثبات؛ لأن لا يمكن تكون
المادة دي من ضمن المواد المستخدمة في العمليات
الكيميائية الدراسية عادي كده.

صمت الجميع فجأة والكل يحاول تحليل ما وصلوا
له، كلما اتضحت أمور أكثر، ازدادت درجة التعقيد
أكثر، الأمر أضحى محير أكثر وأكثر.

قاطع ذلك الصمت حديث جلال الذي قال بشروء
كبير:

- المدرسة دي غريبة أوي.

توجهت جميع الأنظار له باستنكار شديد، قبل أن يصف أسامة وهو يدعي الجدية والصدمة:

- لا يا راجل متقولش كده، ما غريب إلا الشيطان يا جدع.

- لا والله صدقني، دي مش مدرسة طبيعية زي أي مدرسة.

- خير اللهم اجعله خير، أنت خوفتني يا جلال، مالها المدرسة يا ابني ما هي زي الفل اهي؟!
لم يدرك جلال السخرية المبطنة في حديث أسامة وهو يجيبه بكل جدية:

- معرفش بس حاسس كده بحاجة غريبة مش عارف هي إيه

- طب والعمل يا جلال؟! نبلغ البوليس ولا نعمل ايه؟!!

- أنا شايف كده فعلاً الافضل نبلغ البوليس وهو يجي يحقق ويشوف اللي بيحصل.

هنا ولم يتمكن أسامة من تحمل غباء جلال وهو ينهض من مكانه منقضاً عليه بكل غضب، يخرج به كل ما كبته سابقاً بسببه، بينما يصرخ في غضب شديد وغيظ:

- حاسس المدرسة غريبة؟! امال احنا جايين نشتغل فيها ليه؟! عشان نكوّن نفسنا يا غبي يا معتوه؟! مزنوقين في قرشين وجايين نستنفع من المدرسة؟!!

ابعد جلال أسامة عنه يحاول شرح ما توصل له، لكن كان أسامة في عالم آخر يقتله مئات المرات، لكم تمنى أن يخرج سلاحه ويفرغه في رأسه تلك، متأكد أنها فارغة بلا عقل.

- اسمعني بس يا قائد، أنا قصدي إنني اكتشفت

حاجة غريبة فيها، المدرسة دي فيها مخزن تحتها.
توقف أسامة فوزًا عما يفعل وهو ينظر لجلال
بعيون ضيقة، كأنه يسأله عن جدية حديثه، ليهز له
جلال رأسه بسرعة، رتب أسامة ثياب جلال مجددًا
وهو يربت على كتفه بحنان:

- قولي يا جلال يا حبيبي كل اللي تعرفه.

حرك جلال نظراته للجميع يراهم ينتظرون حديثه
بلهفة، وكان لهم ما أرادوا، حيث فتح جلال فمه
بلهفة وهو يشعر للمرة الأولى أنه محط أنظار فريقه،
ومحط اهتمامهم:

- المدرسة دي مبنية على قبو أو مخزن معرفش
هو ايه الحقيقة ولا حجمه قد ايه، لكن اللي اعرفه
أن بوابة الشيء ده في أوضتي أنا.

صمت جلال وصمت الجميع لتعلو النظرات
الفكرة، وتسود الحيرة المكان قبل أن ترتسم بسمه
مخيفة غامضة على فم أسامة أخبرتهم أن القادم لن
ينل إعجاب أحد، سوى أسامة نفسه:

- اعتقد أننا وصلنا لنص الخيط يا شباب...

الأسرار وجدت لكشف، والحقائق وجدت
لتعرض؛ لذا عزيزي المسكين، إياك والظن يومًا، أن
الأسرار ستظل أسرار، أو أن الخفايا، لن تظهر للعيان
يومًا، بل هي فقط تنتظر اليوم المناسب حتى تظهر،
أو ربما تنتظر تلك اللحظة التي سيكون تأثيرها فيها
مدمرًا حتى تعلن عن وجودها.

تأففت هند وهي تلقي الملفات من بيدها على
المكتب أمامها، فهي تحاول منذ الصباح الوصول
لرابط بين الضحايا - كما أمرها أسامة - والأمر صعب
ل للغاية، فالملفات أمامها تحوي عدد من الفتيات

اللواتي انتحرن والبعض قُتل، لكن هي لا ترى أي رابط بينهن، عادت بظهرها للخلف وهي ترمق الملفات بشروء كبير، تفكر بعقل صافي فيما يمكن أن يجمع بينهن، أو ما يمكن أن يدفعهن جميعاً للانتحار، تنهدت وهي تعتدل مجدداً منكبة على الملفات مرة أخرى، عاقدة العزم على اكتشاف كل شيء.

مرت ساعة أخرى وهي مازالت كما هي لم تصل لشيء، حتى شعرت فجأة بالملل الشديد، ونهضت من مكانها تُعدل من وضعية جسدها الذي تشنج لجلوسها بنفس الوضعية منذ فترة طويلة.

لكن أثناء تمطأها لمحت عينها شيء غريب في أحد الملفات، جعلها تندفع بسرعة وهي تمسكه، وقد كان الملف يخص تلك الفتاة صديقة مريم "منار"، وبالنظر لتاريخ وفاتها، فقد تم الانتحار قبل مجيئهم بأيام فقط، وبعدها حدثت حالة الانتحار الأخرى، وبالنظر لتاريخ كل عملية انتحار، تجد أن الفارق أيام فقط بين كل حالة والأخرى، فكرت هند بجدية، هل هي صدفة، أم أن الفارق بين جميع الحالات مقصود؟!

الأمر محير، وقوع حالتين انتحار في أسبوع واحد، وتكرر الأمر كل أسبوع بنفس الشكل، أمر غريب حقاً، لا يمكن أن يكون ذلك من تأثير الدراسة، أو غيرها كما تدعي المدرسة، فكما ترى هي جميع الفتيات في مراحل مختلفة، جميعهن ليسوا في نفس الظروف، حتى يتعرضوا لنفس الضغط، نفخت هند وهي تتحرك من خلف مكتبها تبحث في الملفات الخاصة بكل فتاة والموجودة في مكتبة مقابلة لها، حيث تحتفظ المدرسة بملف يخص كل فتاة في حالة تعرضت أياً منهن لمشاكل نفسية

أو ما شابه، بدأت هند تتفحص الملفات باهتمام شديد، حتى اكتشفت شيء مهم أن جميع الفتيات متقاربين في العمر وتاريخ ميلادهن، وبالنظر لتاريخ وفاة كل واحدة، تجد أن جميعهن قد أكملوا بالفعل الثامنة عشر قبل أيام من وفاتهن .

تحركت هند صوب المكتب وهي تحمل بعض ملفات الطالبات اللواتي انتحرن بالفعل، ثم جلست بعدما رتبت الملفات حسب تاريخ انتحار كل منهن، فبدأت بالأقدم ثم الأحدث، وبعدها نظرت لهم بشرود طويل لتمر ساعة أخرى، وهي تحدث نفسها. اول ضحية كانت مواليد بداية شهر يناير، والثانية كانت تقريبًا من مواليد نفس الشهر، لكن بعدها بأيام قليلة، وهكذا حتى وصلوا للشهر الخامس، فالضحية الأخيرة كانت من مواليد منتصف الشهر الخامس، هذا يعني وحسب تخمينها أن القادمة ستكون من مواليد الشهر الخامس أيضًا، ابتسمت وهي تدرك الأمر الآن، مسحت وجهها بصدمة وهي تنكب على الملفات أكثر، وضربات قلبها تعلو أكثر وأكثر، كلما تأكدت من تخمينها أكثر وأكثر، ابتلعت ريقها وهي تهمس بحيرة شديدة وكأنها تحاور نفسها:

- يعني كده الضحية اللي جاية من مواليد شهر مايو؟! بيتم انتحارهم حسب ترتيب الشهور، وحسب أعياد ميلادهم، يعني كل اللي هيكمل ١٨ سنة في شهر خمسة خلال الأيام الجاية، معرض أنه يكون الضحية الجاية؟! معقول؟!

ألقت هند الملف وهي تشعر أنها تدور في دائرة، كلما ظنت أنها اقتربت من المركز، وجدت نفسها ما تزال تدور معها، تنفست بهدوء وهي تلقي بنفسها على المقعد تفكر في كيفية الاستفادة بتلك المعلومة التي اكتشفتها، كيف ستعلم الضحية

التالية، وهل ما اكتشفته صحيح أم أنه مجرد صدفة؟!

رغم توسط الشمس في السماء، إلا أن ذلك لم يمنع الظلام من مد يده ليحيط تلك البقعة ويملئها بالسواد، كقلوب قاطنيها، سواد تمكن من نفوسهم ومنهم حينما باعوا أنفسهم، لأول من عصى الله، حينما باعوا أرواحهم لمن أقسم أن يسحبهم معه للجحيم، هم من يطلقون على أنفسهم " عبدة الشيطان " بكل فخر، وكأن الشيطان يستحق العبادة أو التعظيم حتى.

تقدم رجل يخفي وجهه أسفل وشاح أسود من رجل آخر يجلس على مقعد تحيطه العظام والجماجم، والجدران مليئة بالرسومات المخيفة، التي قد تبدو للرائي بلا معنى، لكنها لهم بالطبع لها معاني كثيرة.

- سيدي الفتاة السابقة لم ترحل عن عالمنا حتى الآن، وقد انقضت المدة المحددة التي كان من المفترض أن ترحل بها.

رفع الآخر نظره ببطء، ثم تحركت عيناه يطالع الفتحة الوحيدة التي تنير المكان، يشرد بها وهو يقول بتفكير:

- والسبب؟!

- لم تتمكن المخلصة من إيصال السم لها في الوقت المحدد، بعدما كادت تكشف.

- إن لم ترحل بإرادتها، فستفعل بالقوة.

وبهذه الكلمات أصدر ذلك الرجل فرمان يقضي بموت الفتاة التي سبقت الحالية، وكأنه يتحكم في مصائر الجميع، ينهي غرضه منهن، ثم يدفع بهن

للانتحار، وإن عافرت الفتاة وقاومت تقتل.

- ماذا كان اسمها؟!

- سلمى.

- سلمى إذا؟! أود سماع خبر رحيلها في أقرب وقت.

- سلمى؟!

انتفضت المدعوة سلمى وهي تنتبه فجأة لفحيطها بعدما سقطت في هوة عنيفة، سحبته ببطء بعيداً عن الجميع، نظرت بتشويش لوجه معلمها الذي اقترب منها يرمقها بنظراتٍ تشعرها بالتوتر:

- أنت كويسة؟!

هزت رأسها ببطء وهي تحاول إخفاء يدها عن مرمى نظره، بعدما انتبهت إليه يرمق يدها بتركيز كبير وكأنه على وشك إجراء عملية جراحية خطيرة بيدها، حاولت كتم تأوه كاد يفلت منها وهي ترفع نظرها له تحاول إبعاده عنها حتى تتنفس بشكل طبيعي، دون أن يغد عليها أنفاسها:

- مستر أسامة، أنا كويسة شكراً لحضرتك.

وكانت كلماتها بمثابة دعوة له بأن يتكرم ويبتعد عنها، لكن أسامة القى الدعوة في وجهها وهو يشير ليدها بجدية يحاول معرفة ما يحدث معها:

- مالها ايدك، وازاي اتعورت كده؟!

كان أسامة يسأل السؤال وهو ينظر بطرف عينه للفتاة الأخرى التي تمتلك نفس الجرح بيدها، يحاول الدفع بهما للحديث بأي كلمة قد تخرج في حالة توتر وتساعد في مهمته، لكن سلمى ابتسمت بسمة متوترة وهي تشير لجرحها:

- الاسورة بتاعتي معمولة من سلك حديد وللأسف علمت في أيدي وعورتنني بسبب إنني بلبسها طول

الوقت، عشان كده ضمدتها.

حجة غبية لم تنطل على أسامة، لكنه رغم ذلك تتمم بكلمات يتمنى لها الشفاء وهو يتحرك بخفة صوب مكتبه يكمل الشرح وعينه تدور بين سلمى والفتاة الأخرى، وقد قرر في نفسه أن يراقبهما بكل جدية.

شعور أنك وأخيرًا انتهيت من فعل شيء ثقيل على قلبك، وتتجه للقيام بشيء آخر يمثل لك متعة خاصة من نوعها، هذا بالتحديد ما كان يشعر به جلال وهو ينتهي من تدريبه لفصل ما متجها لغرفته على وجه السرعة، يستغل الدقائق التي تفصل الحصة والأخرى، حتى يبدأ في محاولة فتح ذلك الباب الذي اكتشفه أسفل غرفته، محظوظ هو أن يقع حظه في تلك الغرفة بالتحديد، فها هو بدأ يشعر بقيمته في الفريق، يتذكر كلمات قائده البارحة وهو يخبره أنه يثق به ويثق أنه سينجح فيما وضعه به.

فتح جلال الغرفة بحمايس شديد سرعان ما خفت وبهتت ألوانه وهو يرمق زميله في الغرفة ما زال يجلس بها رغم بدأ الدوام:

- أنت لسه قاعد هنا؟! مش عندك حصص ولا ايه؟!

انتبه الشاب لجلال ليصدم من وجوده الآن وفي هذا الوقت تحديدًا، وبدون شعور منه أخفى هاتفه بسرعة، وكان زوجته أمسكت به يتحدث مع غيرها مُتلبسًا:

- أنا... أنا كنت... هو، وانت مالك يا جدع أنت؟! هو أنت كنت المدير وأنا معرفش؟! أما حشري بصحيح. فتح جلال فمه بصدمة من ذلك الهجوم لمجرد

سؤال صغير، ضيق عينيه بشك يستشعر وجود
خطب خلف ذلك الشاب، توتره وقلقه ليسا بالشيء
الطبيعي، ابتسم بسمة صغيرة وهو يتجه لفراشه
يقوم بتعب وهو يتسطح عليه:

- يا عم براحة شوية، أنا بس استغربت إنك هنا
والحصص بدأت.

- ما أنت كمان هنا والحصص بدأت.

- أيوة بس أنا خلصت الحصص اللي عليا،
ودلوقتي عندي راحة نص ساعة.

ابتسم الشاب الآخر بسمة صغيرة غير مُهتمة وهو
ينهض من مقعده يرتدي حذاءه مردداً بملل، ويبدو
أن جلال أتى ليفسد عليه متعته؛ لذا قرر الرحيل:

- أنا هروح اشوف الحصص اللي ورايا طالما انت
فاضي، عن اذنك.

نظر جلال في أثره بتعجب وهو يردد في رأسه
(أليس هذا ما قاله منذ قليل؟!).

لكنه لم يهتم كثيراً وهو ينتفض بلهفة شديد يغلق
الباب خلف ذلك الغريب المعتوه، ثم تحرك بجدية
يخلع حذاءه، ثم انحنى أرضاً وأخذ يطرق على
الأرضية أسفل، ثم تحرك لمكان آخر يكرر به نفس
الشيء، لكن فجأة سمع صوت الباب يفتح، استدار
ببطء وهو يرى شريكه في الغرفة يقف يرمقه
ببلاهة وفم مفتوح بغباء، يراقب تلك الوضعية
الغريبة التي ينحني بها جلال، لكنه لم يتحدث وهو
يتحرك بحذر شديد صوب فراشه، يحرص ألا يلمس
جلال الذي مازال بنفس وضعيته، وكأنه يحمل
مرضاً معدياً، حمل الشاب هاتفه، ثم تحرك بنفس
الحذر وهو يخرج ومازال ينظر لجلال الذي ينحني
بذلك الشكل المضحك، لم يتحرك جلال مقدار شعره
وعينه فقط هي ما تتحرك مع جسد زميله، وبمجرد

رؤيته لنظرات الرعب في عين الآخر حتى سارع
ببرر موقفه :

- أصل أنا وقع مني خمسة وسبعين قرش، وكنت
بدور عليهم.

لم يجبه الرجل وهو يخرج مسرعًا يغلق الباب
خلفه بقوة، تاركًا جلال يزفر بحنق دون اهتمام
بشيء، يعود لما كان يفعل وهو يطرق على الأرضية
يستمتع جيدًا لصدى طرقه، علّه يتعثر في مكان
البوابة، ولم ينتبه لتحركه، أو أنه أضحى خلف باب
الغرفة مباشرة، يعوق فتح الباب.

في الخارج كانت عفاف تحمل أدوات التنظيف
وهي تفر على الغرف؛ حتى ثني عمليها الملل
والمهين ذاك وتنطلق للمعمل تكمل ما بدأته، توقفت
أمام باب الغرفة قبل الأخيرة وهي تتنفس بحنق،
مدت يدها تحاول فتح الباب، لكن لم تستطع،
ضيقت ما بين حاجبيها بتعجب، ففي هذا الوقت
من المفترض أن الجميع رحل بالفعل لعمله، حاولت
مُجددًا فتح الباب، لكنها فشلت في ذلك حتى قررت
أن تستخدم العنف، وبالفعل ابتعدت عفاف عن
الباب مقدارًا صغير، ثم اندفعت صوبه بقوة كبيرة،
وبعدها عادت للخلف أكثر وهي تتجهز للاندفاع
بقوة أكبر.

في الداخل كان جلال مُندمجًا في البحث عن
البوابة بكل شغف، حتى شعر بدفعة قوية في
ظهره، نظر للباب في تعجب ظنًا أن زميله عاد؛ لذا
نهض سريعًا من الأرض وهو يعدل من ثيابه، ثم فتح
الباب يدعي أنه على وشك المغادرة ليرى عفاف
التي كانت قد عقدت العزم بالفعل واندفعت بكل ما
تملك من قوة صوب الباب، ولم تنتبه لأن الباب قد
فُتح بالفعل، رأى جلال اندفاع عفاف كالثور صوبه

ليبتعد بخوف وهو يلتصق بالجدار خلف الباب صارخاً برعب، يراقب التصاق عفاف بالجدار كما لو أنها رسمة خُطت بيد أحد الرسامين.

عض جلال شفتيه وهو يرى قوة اصطدام عفاف، ليدرك جيداً أنها إن استفاقت الآن ووجدته جوارها ستحيل حياته لجحيم؛ لذا حمل حذاءه بخفة وهو يتسحب للخارج، وبفجرد أن خطى لخارج الغرفة حتى انطلق يعدو وكأنه هناك وحشاً يتربصه، لولا ذلك الحذاء اصطدم بظهره بغية إعاقة هروبه، يستمع في الخلف صوت صراخ عفاف المتوعد، ليهتف برعب وهو يخرج من المساكن كلها:

- والله ما قصدي، والله ما قصدي.

أحياناً تدفعك الحياة لفعل ما لا تريده، من أجل الاحتفاظ بما تمتلكه، تدفعك لفعل الكثير والكثير، ثم تأتي بعدها وتراقب انهيارك، وصدمتك بنفسك، تدفعك لارتكاب ما أقسمت يوماً ألا تمسه، ثم تبتسم في خبث وهي تراقب ندمك.

هكذا كانت هي، مُجبرة على فعل ما لا تريده، لتحتفظ بحياتها، رمقت اللعبة البيضاء التي تتوسط يدها بارتجاف، تفكر في أن المرة السابقة اعترض طريقها ذلك المعلم المسمى "أسامة" ولم تنجح في الفرار بالعبة، حتى تضعها في اليوم التالي أسفل وسادة سلمى، والآن بسبب خطأها ذلك، سلمى تعاني وتتعذب وهي يجب أن تتدخل لتخلصها من ذلك العذاب، تفعل ما فعلته مئات المرات سابقاً تُخلص الجميع من عذابه، شردت في اللعبة البيضاء قليلاً تبتسم بسخرية وهي تردد "نعم هذا ما سأفعله، في النهاية أنا المُخلصة كما يصفوني، بينما أنا أبعد ما يكون عن تلك الصفة"

لكم تود أن تجرب ذلك السم، السم الذي تستمر في وضعه أسفل وسادة الفتيات اللواتي انتهى وقتهن في الحياة، بسمة ساخرة ارتسمت على فمها وهي تردد في نفسها " وأنا متى ينتهي وقتي؟! متى يمل مني ويتخلص من وجودي؟!"

مرت الأيام سريعاً على الجميع وها هي الأيام الأخيرة لهم في المدرسة قبل الإجازة الأولى والتي سيحدد بعدها من يبقى ومن يرحل، نظر أسامة في ساعة يده بغيظ وهو يجلس في غرفته ينتظر أن يسقط إبراهيم في النوم؛ حتى يستطع الخروج والاجتماع مع فريقه كما خطط سابقاً.

- تفكر مين هيمشي ومين هيبقى؟!

رفع أسامة نظره لإبراهيم يراقبه يقف أمام مرآة صغيرة تتوسط الجدار المقابل للباب وهو يحلق ذقنه، ويصفر باستمتاع وكأنه لا يحمل أي هموم:

- هو مش غريبة شوية اللي بيحصل ده؟!

انتبه إبراهيم على سؤال أسامة الغامض ليتوقف عما يفعل وهو يستدير له يرمقه بعدم فهم:

- غريبة؟! هو ايه ده؟!

- النظام بتاع المدرسة دي؟! أول مرة اشوف مدرسة بتعمل فترة تدريب بالشكل ده، يعني اقل حاجة بتكون شهرين مثلاً عشان تقدر تحكم إذا كان الشخص ده فعلاً ينفع أو لا.

- يا عم يعني هو ده بس اللي لفت نظرك، المدرسة على بعضها كلها مربية أساساً، ولولا أنها بتدي مرتبات حلوة مكنتش قعدت فيها ثانية.

أنهى إبراهيم حديثه وهو يترك ما بيده فتجهاً صوب فراش أسامة يجلس جواره هامساً بربية

وكانه يخشى أن تستمع له الجدران وتشفي به:

- بيني وبينك، أنا أساساً مرعوب من المدرسة دي وصاحبة المدرسة، أنت مش بتشوف بصاتها للكل عاملة ازاي؟! بعدين طول الوقت حابسة نفسها في المكتب بتاعها بشكل مريب مش بتظهر غير في الطابور، يعني هو فيه مدير كده يا أخوانا؟!

رمق أسامة إبراهيم بتفكير، هو بالفعل كان قد خمن سابقاً أن المدير لها يد في كل ما يحدث، وتعاملها ذلك اليوم مع الانتحار الأخير خير دليل على ذلك.

ابتسم إبراهيم لنظرات أسامة التي شردت، لينهض مُجدداً يستكمل ما كان يفعله:

- اوعى تقولي اني خوفتك؟!

أنهى حديثه بضحكة عالية جعلت أسامة يلوي شفتيه بسخرية يراقب ابراهيم يجفف وجهه ثم يتحرك بهدوء صوب فراشه يتسطح عليه:

- نام، نام يا عوني، عشان بكرة قدامنا يوم طويل اوي...

- والله العظيم لولا أنك ست أنا كنت مديت ايدي عليك.

هكذا صرخ جلال وهو يحاول الإفلات من أسفل يد عفاف، لا يصدق أنها باغتته، فبفجرد وصوله للمكان وجدها تسحبه إليها وتهجم عليه بالضرب دون منحه فرصة السؤال عن السبب حتى.

تدخلت هند بصعوبة بينهما تسحب عفاف بعيداً عن جلال الذي أخذ يصرخ بكل غباء، غير أبها البتة بأنهم الان في مهمة سرية، يختبئون خلف المدرسة بعيداً عن الأعين، همست هند من بين أسنانها بحقن:

- قصدك ايه؟! إن الست مش هتقدر عليك؟! والله
اسيبتها تقتلك وندفن جثتك هنا ولا حد هيعرفلك
طريق.

- الله يعني أنت مش شايفة اللي هي بتعمله يا
هند؟! هي الست دي ايه مفكره محدش هيقدر
عليها؟! لا ده أنا جلال يا عفاف، جلال اللي موقف
بنات شبرا كلها على رجل واحدة.

تحركت عفاف بعنف بين يدي هند تحاول الأفلات
منها، ضاربة بتعقلها عرض الحائط، غير مهتمة بأي
شيء، وهي تصيح في سخرية وقد أخرج جلال
تلك الفتاة السوقية التي حاولت دفنها أسفل تلال
الرقى المزعومة تبغا لتعليمات والدها:

- ليه عايش مع طائر الفلامنجو هيقفلك على رجل
واحدة؟! بعدين مين دول يا حبيبي اللي هيبصوك
بتسريحة شعرك اللي من ايام المرحوم عبد الحليم
إلا لو كانوا من محبين التراث والقطع الأثرية.

تحركت يد جلال فجأة دون شعور يربت
على خصلات شعره الحبيبة التي أفسدتها تلك
المتوحشة بهمجية معروفة بها بين أفراد المنظمة،
فعفاف منذ بدأها العمل، كانت دائمًا تفتعل
المشكلات بسبب وبدون سبب، تستفز من أمامها
حتى تخرج اسوء ما فيه، ثم تضربه بعدها لأنه تجرأ
وأخرج اسوء ما فيه أمامها.

- أنا مش هحاسبك على جهلك، لأنني متعودتش
إني أرد على الجهلة أمثالك، مستوايا أعلى من اني
افهمك غلطك، خليك عايشة بتخفلك كده.

شهقت عفاف شهقة عالية، انتفضت على إثرها هند
برعب شديد، تنظر بعين مفتوحة حولها معتقدة أن
أحدًا اكتشف أمرهم، لكن شهقة عفاف تلك لم تخرج
سوى كردة فعل طبيعية من جسدها على حديث

الأحمق جلال، رفعت يديها في الهواء تخطب كلاً منهما في الآخر، مع التواء طرف شفثيها وهي تردد بسخرية:

- حوش حوش العالم الجليل، اللي مقطع الأبحاث العلمية، بعدين مستوى مين يا أبو مستوى؟! احنا لو هنمشيها مستويات، فأنت المفروض تكون بتدحرج التماسي على الراقدين تحت التراب دلوقتي، قال مستوى قال.

قاطع تلك الفشاحنة بين الاثنين صوت تصفيق اخترق الأجواء جاعلاً الجميع ينتفض بفزع وتحولت الأنظار بسرعة صوب صوت التصفيق و....

الجميع يقف في الدائرة المرسومة يرددون ترنيمات غريبة، بلغات أغرب وهمسات مخيفة، أصواتهم تعلو تدريجياً، وفي المنتصف شاب يجلس على ركبتيه يرتدي زي يشبه خاصتهم، لكن باللون الأبيض، ينظر أرضاً وهو ينتظر بلهفة ما سيحدث، فهو على وشك توقيع عقد ضياعه، عقد ولاءه للشيطان، بعدما نفذ ما طلب منه من أفعال قذرة في مقابل الانضمام لذلك الكيان المخيف.

ثواني وكانت دماء تتساقط على رأس الشاب وهو يغمض عينه، يحاول منع شعوره بالتقزز من ذلك الأمر، يستمع للأصوات تعلو أكثر وأكثر، أصوات الجميع تزداد بشكل واضح، حتى توقفت الدماء عن السيلان، ليرفع الشخص الذي كان يسكب الدماء يده ويوقف الجميع عن الحديث، ثم قال ببسمة غامضة:

- والان مرحباً بك في عالمنا الخاص.
أنهى الرجل حديثه وهو يلقي الكأس أرضاً لينكسر بقوة قبل أن ينظر جواره للجميع يردد بصوت

جهوري:

- دعونا نحتفل بذلك يا رجال.

علت الصيحات المرحبة بالعضو الجديد، وعلت الصرخات المخيفة من البعض، صرخات تعبر عن فرحتهم، لكن وقعها على المسامع مخيف وبشدة.

تحرك أحد الرجال وهو يغطي وجهه ورأسه بوشاح اسود، ثم مال على رأس الرجل الذي يبدو وكأنه قائدهم في ذلك المكان يهمس بجدية كبيرة:

- سيدي لقد رحلت المدعوة سلمى عن هذا العالم، لكن الأمر لم يتم بواسطتنا، كانت الفلّصة.

تحركت عين الرجل ببطء وهو يرسم بسمة جانبية على فمه توحى باستحسانه لما سمع منذ قليل، ثم قال بهدوء شديد وبكلمات مُقتضبة معروف بها:

- استمتع بالحفل.

كان أسامة يرمق الجميع بحنق كبير وقد تصاعد غضبه بشدة، لا يعلم لم كل مرة يغضب بهذا الشكل من أفعالهم، ألم يعتقد بعد على غبائهم؟! أم أنه مازال يأمل أن يخيبوا ظنه يومًا ما، ويتصرفون بعقل؟!!

توقفت عفاف عن الصراخ وكذلك توقف جلال عن المجادلة، بينما هند كانت ترمق الجميع بترقب، ترى أسامة يقترب منهم بغضب يكاد يحرق الأرض أسفلها، يتحرك بعنف كبير صوبهم، لولا تلك الصخرة التي أسقطته أرضًا دون أن ينتبه.

استقبل أسامة الأرض بصدر رحب، وقد اعتاد سوء حظه، فهو لا يتوقع أسوء من أن يحظى بفريق كهذا.

كتمت عفاف ضحكتها بصعوبة وهي ترى ما يحدث لأسامة أمامها، تحاول تمالك نفسها، لكن خرجت ضحكتها عن السيطرة وهي تنفلت ليرن صداها في

المكان بأكمله مُشعلًا غضب أسامة أكثر وأكثر وهو ينهض مُنفضًا ثيابه بحنق شديد يُردد بصرامة:
- بس مسمعش صوت.

صمتت عفاف وصمت الجميع، وفقط صوت الأنفاس هو ما يمكن سماعه في المكان بأكمله، تحرك أسامة بحذر صوبهم وهو ينظر أسفل قدمه تلك المرة، حتى توقف أمام الجميع يردد:

- والله عال، أتأخر ربع ساعة أجي الاقيكم ماسكين في بعض وصوتكم واصل لآخر المدرسة.
- يا عو هو اللي و....

- بلا عو بلا نيلة، اسكتوا كلكم عشان أنا جبت أخرى منكم.

صمت وهو يتنفس بعنف متجاهلاً نظرات عفاف الحارقة بسبب صراخه في وجهها، ثم أضاف بجدية كبيرة وهو ينظر لآعين الجميع ملقيا قنبلته:

- دلوقتي اسمعوني كويس لأن كلامي مش هيتكرر ثواني مرت على الجميع في ترقب لحديث أسامة التالي، ليعلوا صوته وهو يقول بجدية كبيرة ونظرات غامضة وقد عقد العزم على تنفيذ ما برأسه:

- بكرة هنحط نهاية القضية دي...

الفصل الخامس

صمت هو كل ما يمكنك ملاحظته في ذلك التجمع، لا شيء واضح سوى صوت حشرات الليل، وصوت الأنفاس، وتلك النظرات المتبادلة بين الجميع عقب القرار الذي ألقاه أسامة بينهم، لا أحد يفهم مقصده ولا أحد يجرو على الاعتراض.

كان الجميع ينظر لبعضهم البعض في صمت يسألون بعضهم بالأعين عن الغرض من وراء حديث أسامة، لكن أحدا لم يجب، لم يستطع جلال التحمل وهو يقول بغباء معتاد:

- لا معلش أنا مش فاهم، عايز ايه يعني؟!

رفع أسامة حاجبه وهو يرمقه بنظرة حانقة، قبل أن يسمع صوت عفاف والتي تكرمت واخيزا أن توجه له حديث في ذلك اليوم العجيب:

- ولا أنا فاهمة.

تحركت عين أسامة من وجه عفاف لوجه هند ينتظر ألا تخيب أمله وتخبره أنها الوحيدة التي تفهمه هنا، لكن صوت تنحنح هند انبأه أن يدفن ظنونه في أعماق نقطة، وهو يستمع لصوتها يردد بخفوت:

- ولا أنا فاهمة يا قائد.

هز أسامة كتفه بتعب وهو يمسح وجهه، ثم قال لهم بهدوء بعدما أدرك جيدا أن الصراخ لا يأتي مفعولاً مع هؤلاء الحمقى؛ لذا تحرك ببطء يجلس على أحد المقاعد الفحطمة بعض الشيء وهو يتنهد بتعب، ثم أخذ يقص عليهم ما سيفعلونه في الغد تحت نظرات الصدمة من الجميع، وبمجرد انتهاءه، حتى صاحت عفاف بانبحار شديد:

- يا حلاوة يا ولاد، هنعمل زي الافلام الاجنبي.

تبعث حديثها بزغردة منخفضة بعض الشيء وهي تصفق، تشنج فك أسامة دون أن يجيب، يستمع لصوت جلال الذي قال بفخر شديد وهو ينفخ صدره مغترًا كطاووس:

- متنسوش إن أهم جزء في الخطة مُعتمد عليا أنا.
تحدثت هند بجدية كبيرة:

- متأكد من القرار ده يا قائد؟!

وكانت إجابة أسامة هي هزة صغيرة من رأسه، لكن فجأة سمع الجميع حركة بالقرب من مكان تجمعهم، حركة مريبة جعلت الجميع ينتفض في مكانه، قبل أن يُشير لهم أسامة بالصمت، ثم تحرك ببطء شديد صوب صوت الحركة ذاك وخلفه الجميع يسرون بخطى مشابه له؛ لذا وبمجرد توقفه اصطدم الجميع بظهره في عنف شديد وعلت همسات عفاف الحانقة:

- جرا ايه؟! ما تقلب نور أو تدي كلاكس قبل ما تقف.

استدار أسامة لها وهو يرفع يده عاليًا يتمنى لو يهوى بها على وجهها ويتخلص منها، لكن تمنعه رجولته ونظرات هند المشتعلة من ذلك، ضغط على كفه وهو يعضه بعنف علّه يفرج بعضًا من غضبه فيه، ثم رمق هند بحنق وأشار لعفاف بمعنى " انظري هي من بدأت "، لكن هند لم تهتم به أو بشكوته، ليلوي أسامة شفثيه بحنق شديد وهو يستدير مجددًا ليصدم مما يرى أمامه.

كانت هناك فتاة تلتحف في وشاح يشبه ذلك الذي اقتنصه أسامة من الفتاة التي كانت تحمل اللعبة آخر مرة، انحنت الفتاة أمام أنظار الجميع الفتعجة لتحفر بحرص جوار إحدى الشجيرات الصغيرة

وهي تنظر حولها بريبة دفعت الشك لقلوب الجميع، ثم مدت يدها ببطء تلتقط شيء من تلك الحفرة الصغيرة وبعدها أعادت كل شيء كما كان.

استدارت الفتاة وهي تحمل ذلك الشيء بين أحضانها وهي تعدّه أغلى وأثمن ما تملكه في تلك اللحظة، لينكشف فجأة الوشاح عنها بالخطأ، مظهرًا ذلك الشيء ومظهرًا وجهها، لتعلو همسات مصدومة في نفس الوقت.

- العلبة؟!

- مريم؟!

ويبدو أن الهمسات وصلت لتلك الفتاة والتي وللصدمة كانت مريم؛ لذا سريعا ودون أن تتحرى إن كان أحد رآها أم لا بدأت تركض في طريق عودتها للسكن بعدما تحصلت على علبة الدواء التي ستسلمها للضحية

التالية، تاركة خلفها الجميع ما بين مصدوم وما بين جاهل بما يحدث.

استدار أسامة بسرعة لهند وهو يقول مُشيّرا للاتجاه الذي هربت به مريم:

- تعرفيها؟!

عادت مريم للسكن وهي ترتجف خوفاً ككل مرة تنفذ فيها ذلك الأمر، أصبحت تخاف الجميع، تخاف من تلك الأشباح التي تظهر لها وحدها تلومها، أصبحت تعتقد أن الجميع يلقونها بنظرات لوم وكره.

اختبأت أسفل غطائها وهي تضم العلبة لها برعب، فقد وصلت لها إشارة أنه حان وقت تخليص الفتاة التالية، بعدما وضعت علبة مُمائلة عند سلمى في

الصباح، ومنذ ذلك الوقت وسلمى مختفية، لا تعلم إن كانت تجرعتها أم لا، والآن حان وقت الفتاة التالية، ضحية أخرى، وروح أخرى تنتزعها من جسدها بكل جحود.

أغمضت عينها تمنع سيل الاتهامات التي أخذت نفسها توجهها لها بكل قوة، تكتم صوت ضميرها، تكتم فمه بقوة مانعة إياه من نطق أي كلمة وهي تتمسك بالعلبة أكثر وأكثر تسقط في نوم أصبح متنفسها الوحيد وسط تلك الظلمات التي تفرق فيها، وللسخرية لا تملك حتى حق المقاومة.

انتهت هند من قص كل ما تعلمه عن مريم، وكل ما توصلت له في تحليلها السابق عن الرابط بين الضحايا، خيوط كثيرة تتشابك الآن أمام أعين أسامة، وهو فقط شارد يفكر أن جذبة خيط واحدة هي ما ستحل تلك العقدة، وتلك الجذبة هي مريم.

- مش يمكن تكون دي اللي عليها الدور؟! يعني هي اللي هتنتحر؟!

وكان سؤال عفاف هو الضربة التي أعادت أسامة للواقع يرمقها بشروء كبير، يفكر في حديثها، هل هذا ممكن؟! هل أفسد المرة السابقة محاولتها للانتحار؛ لذا تحاول مرة أخرى؟!

- ممكن، كل شيء وارد، حاجة واحدة هي اللي هتأكد ظننا.

صمت الجميع يستمعون لكلمات هند التي قالتها بعد تفكير قصير، تفكير ربما كان هو نفسه ما يدور في رأس الجميع بعد تجميع الخيوط المتعلقة بأمر ضحايا الانتحار.

- تاريخ ميلادها.

هكذا قالت هند وهي تنظر للوجوه حولها ثم
أضافت بكل جدية:

- المفروض الضحية الجاية وحسب تخميني تكون
من مواليد آخر عشر ايام في مايو، يعني لو مريم
كده يبقى هي فعلاً الضحية دي، وزى ما قالت عفاف
الدور عليها، واللي آخرها هو كشف أسامة ليها المرة
اللي فاتت وأنه أخذ منها علبة السم، وعشان كده
لو تلاحظوا آخر اسبوع مفيش اي حوادث حصلت
خالص ولا حالة انتحار واحدة، مع إن ده غريب
حسب اللي اكتشفته، يا ما كده، ياما اللي انا وصلت
ليه وفهمته كان مجرد صدفة لا اكثر.

- كل ده هنعرفه بكرة.

هكذا أردف أسامة بجدية كبيرة وهو ينهض من
مقعده، ثم نظر للجميع بجدية وهو يضيف:

- كده هنضيف شوية تعديلات على خطة بكرة.

- ايه اللي رجعتك يا سليمان، مش قولت أنك
هتريح شوية؟!

هكذا اردفت السيدة ناهد بتعجب وهي ترى دخول
سليمان عليها في مكتبها بوجه شاحب وأنفاس
لاهثة، وكأنه خرج للتو من سباق مع الموت، تحركت
عين منيرة والتي كانت تنكب رفقة ناهد على بعض
الملفات المهمة لاختيار المعلم الأفضل لكل مرحلة
قبل إقصاء الباقيين.

أشار سليمان للخارج وهو يقول بأنفاس سريعة،
بعدها كان على وشك النوم بسبب جلسته الطويلة
على الملفات، لكن ما رآه بالخارج جعله يعود ركضاً:
- في الجنينة... في الجنينة قدام مساكن الإدارة...
بنت.

- أهدى يا سليمان وقول اللي عندك بهدوء

صمت يضع يده على صدره بتعب يحاول تنظيم أنفاسه، متجاهلاً برود السيدة ناهد والتي تجعله يظنها مخلوقة من ثلج، ليس من طين كما باقي البشر:

- فيه بنت برة في الجنيينة اللي قدام المساكن، م...ميتة.

انتفضت منيرة من مقعدها، وكذلك ناهد التي ظهر على وجهها ملامح الصدمة من حديثه، بعد مرور أسبوع كامل من الهدوء في المدرسة عدا تلك المناوشات بين الفتيات، ها هي موجة الموت تكتسح شواطئ مدرستها، بقوة مُجدداً.

- ميتة؟! ولا مقتولة؟!

سؤال صغير هو كل ما استطاعت منيرة إخراجها من فمها ترمق سليمان بترقب، لكنه هز كتفيه بكل بساطة علامة جهله وهو يقول بخفوت:

- معرفش أنا شوفت جثتها وجيت جري، معرفش مقتولة ولا ايه؟!

تحركت ناهد من خلف المكتب وهي تسير صوب الباب وخلفها منيرة وسليمان تقول بصوت حاولت إخراجها هادئ ثابت:

- ورايا طيب نشوف المصيبة دي.

تحرك الثلاثة صوب الحديقة التي ذكرها سليمان والتي تحيط بمساكن الإدارة، حيث لا أحد يقترب منها سوى أعضاء الإدارة فقط، بعدما اتخذوا مساكن بعيدة عن مساكن الطلاب والمعلمين والعمال.

في نفس اللحظة كان أسامة وفريقه في طريقهم للمساكن قبل أن ينتبهوا لحركة في الظلام، ثلاث أجساد تتحرك في الظلام من بعيد، تبادل الأربعة

النظرات في حيرة قبل أن يتحركوا بخفة صوب الاتجاه الذي سلكته تلك الأجساد.

همس جلال بخفوت في أذن أسامة:

- هو احنا أي بلوة نشوفها نمشي وراها؟! افرض كانوا ارواح بتطوف في المدرسة؟!
رد عليه أسامة بهمس فمشابه:

- كلمة كمان وهخلي روحك أنت اللي تطوف وترفر في المدرسة.

صمت جلال بحنق شديد وهو يتبعهم، حتى توقفوا على بُعد مناسب يمكنهم من رؤية ما يحدث، ليكون المشهد أمامهم كالتالي.

ثلاث أجساد يخفي الظلام ملامحها بسهولة وأمامهم يقبع جسد أرضاً، وبسبب الإضاءة القادمة من المبنى الخاص بسكن الإدارة، والذي كان يواجه المديرية ومساعدتها، انعكست خيالاتهم على الأرض خلفهم في منظر مهيب جعل جلال يهمس بتوجس:
- أنا عايز أنا.

نظر له أسامة بحاجب مرفوع ساخراً من حديثه، لكنه تفاجئ بعفاف تتمسك بذراعه دون أن تشعر هامة:

- يلا يا عو خلينا نرجع وهما ربنا يسامحهم، دول لا هيكسبوا ولا يربحوا والله.

اجابتها هند بحنق:

- أنت ليه محسساني أنهم بيبيعوا لبن مضروب وربنا مش هيباركلكم فيه، فوقى يا عفاف دي جثة، واحتمال يكونوا هما اللي قتلوها.

نظر أسامة ليدها ثواني قبل أن تتحرك يده ليضعها على خاصتها يربت عليها قليلاً ثم مال وهمس في اذنها بصوت خافت حنون:

- كلنا مع بعض يا عفاف متقلقيش، أنا جنبك تمام؟!

استدارت له عفاف فجأة لتستوعب ما فعلت وهي تنظر ليدها التي تستريح على ذراعيه، أبعدتها سريعًا وهي تبتلع ريقها بخجل تنظر أمامها تدعي انتباهها لما يحدث، وكذلك فعل أسامة، لكن ليس قبل أن يلقيها ببسمة مُستمتعة.

راقب الأربعة أحد الأجساد والذي يبدو أنه الرجل الوحيد بينهم ينحني ليجذب الجسد ويشده بعيدًا، بينما الجسدين الآخرين يراقبونه بهدوء مريب، وقد كان واضحًا أنهما امرأتين.

تحدثت هند بهدوء شديد:

- دول المديرية والوكيل والمساعدة.

وهذا ما كان يفكر به أسامة بمجرد رؤيته وتمعنه في البنية الجسدية للثلاثة، لكن ما دخل الثلاثة في تلك الجثة؟!

لاحظ أسامة عودة الوكيل حيث تقف المديرية والمساعدة بعدما جَرَّ الجثة بعيدًا.

راقب أسامة كيف يتحدث الوكيل بكُل جدية وهو يشير للجهة التي تحرك لها قبل قليل، ثم بعدها ترك السيدتين مجددًا ورحل حيث أخذ الجثة منذ دقيقة تقريبًا.

- معقولة تكون اللي اسمها مريم لحقت تعملها بالسرعة دي؟!

هكذا همس جلال وهو ينظر للجميع بتفكير، لكن هند هزت رأسها بلا وهي تقول مُتأكدة:

- البنت دي جسمها أرفع من مريم بكثير واصغر من مريم، لا يمكن تكون مريم، ممكن تكون...

- سلمى.

هكذا همس أسامة بشرود، بعدما انتبه لحديث هند وربط بين تلك الجثة وبين اختفاء سلمى منذ الصباح فجأة، وبين مواصفات الجسد، لكنه لم يصف شيئاً كل ما صدر منه هو إشارة صغيرة بيده وهو يهم بالرحيل:

- خلينا نتحرك من هنا قبل ما حد ياخذ باله.
وهكذا حدث، تحرك الجميع خلف أسامة صوب المساكن الخاصة بهم بهدوء وحذر شديد، يستعدون لما هم على وشك القيام به في اليوم التالي.

في الصباح التالي ومع بداية يوم جديد، انطلق فريق أسامة، كل يفعل ما طلب منه، حيث ذهبت عفاف للمطبخ تجهز لبداية الخطة والتي تعتمد عليها كلياً، بينما هند انطلقت لمكتبها وهي تستدعي مريم حتى تستطيع الوصول لشيء بخصوص ما رآته البارحة، وجلال الذي حاول التأخر قليلاً في الخروج من الغرفة للبحث عن الباب الموجود أسفلها، واخيراً أسامة الذي وعلى الرغم من أنه لا يمتلك حصة لدى الفصل الذي تدرس به سلمى، إلا أنه تدبر أمره مع مدرس آخر وبذل معه الحصاص، بحجة أنه متأخر مع فصل سلمى، وها هو يقف في منتصف الفصل يرمق مقعد سلمى الفارغ كما توقع .
تحركت عين أسامة ببطء صوب مقعد الفتاة الأخرى التي تمتلك جرحاً كذلك الذي كانت تمتلكه سلمى، ليجدها تتوسط مقعدها، لكن بهيئة مزرية شاحبة الوجه، هزيلة الجسد، غير مهندمة الثياب.

بدأ أسامة يشرح الدروس المقررة عليهم بكل اهتمام، قبل أن يترك قلمه في منتصف الحصة وأثناء انغماس الطلاب في حل سؤال أعطاه لهم، تحرك بهدوء صوب تلك الفتاة والتي علم لاحقاً أن

اسمها رشا.

- أنت كويسة ؟!

رفعت الفتاة وجهها ببطء، لم تفزع ولم تهلع، فقط رفعتته ببرود شديد وكأنها فقدت روحها، ولم تغد تمتلك الطاقة حتى لتحرك إصبعها، هزت رأسها برتابة وهي ترد:

- أيوة يا مستر كويسة الحمد لله.

- مش واضح يا رشا، تحبي اطلبلك الفمضة ؟!

هزت رشا رأسها بلا وهي تقول بكل بساطة:

- ملوش داعي يا مستر أنا كويسة.

رمقها أسامة بنظراتٍ شعرت بها تخترق دواخلها، قبل أن ينظر ليدها باهتمام يلاحظ اتساع رقعة الضمادة:

- الف سلامة مالها ايدك ؟!

وهذه المرة تغلبت رشا على وهنها وهي تنتفض من مقعدها تضم يديها ببطء وهي تجيب:

- ملهاش يا مستر، أنا بس وقعت عليها فاتعورت.

خرج صوت ساخر من اسامة وقد تأكد أن ذلك الجرح ليس بالعادي أبدًا، لكنه حاول كبت سخريته بصعوبة قبل أن يبتعد عنها وهو يتوقف في مُنتصف الفصل يقول ببسمة صغيرة:

- ها مين خلص حل ؟!

- حضرتك طلبتيني يا ميس ؟!

رفعت هند رأسها من على الملفات التي كانت تملأ مكتبها وهي ترسم بسمة صغيرة على وجهها ترحب بمريم تبعد ما أمامها حتى تُفرع المكتب:

- أيوة يا مريم اتفضلي اقعدي.

جلست مريم بهدوء شديد وهي تنظر لوجه
فعلمتها تشعر داخلها أن هناك أمر ليس بالجيد وراء
استدعائها، صمتت تنتظر أن تبدأ هند الحديث، لكن
وكان هند كانت تلعب على أوتار صبرها، لتمر دقائق
قليلة وهم هكذا حتى تحدثت هند وأخيرًا:

- امممم قوليلي يا مريم، في الفترة الأخيرة، لسه
بتشوفي الحاجات اللي كنت بتشوف فيها؟!

رغم لمحة التعجب التي ارتسمت فوق وجه مريم،
إلا أنها هزت رأسها بالنفي:

- لا يا ميس الحمد لله بقالي فترة مش بشوف
حاجة.

- في الفترة الأخيرة حسيتي بأي ضغوطات، أي
حزن، أي خنقة؟!
- لا.

صمتت مريم قبل أن تُضيف بريبة:
هو فيه حاجة يا ميس؟!

بسمه عملية ارتسمت على وجه هند وهي تهز
رأسها بلا، ثم تحركت من مقعدها لتستقر أمام مريم
وهي تقول بجدية:

- لا يا مريم، بس دي مجرد متابعة عشان اتأكد أن
كل شيء ماشي كويس معاك.

هزت مريم رأسها ببسمه ولم تكذ تتحدث حتى
قاطعتها هند بسؤال:

- قوليلي يا هند هي "الفألصة" دي حد شافها قبل
كده؟! يعني هي عاملة ازاي، وازاي بتتواصل مع
البنات؟!

حركت هند أهدابها بسرعة وتعجب وكأنها لم
تتوقع أن تسألها هند هكذا سؤال بشكل مفاجئ
ودون مقدمات:

- لا محدش شافها، هما بس بيلاقوا رسالة منها تحت المخدات وعليها توقيع بـ "الفُخْلَصَة"

- رسالة بس؟!

- قصدك ايه؟!

- قصدي ازاى البنات دول بينتحرروا من مجرد رسالة؟؟ يعني هل هي مثلاً بتهددهم بحاجة عشان كده أول ما يشوفوا الرسالة بينتحرروا؟!

تباينت ملامح وجه مريم وهي تستمع لحديث هند، لا تعلم ما السبب خلفه، تفكر في إجابة لسؤالها، إجابة سريعة تنزع نظرات هند تلك من عينيها، نظرات شعرت بها مريم وكأنها تستجوبها، أو كأنها في موضع اتهام صريح من قبل هند.

لم يخفى على هند كل ملامح الصدمة أو التفكير التي مرت على وجه مريم في تلك الثواني، وفي الحقيقة كان هذا هو غرضها؛ لذا سريعاً قررت العمل بمقولة " طرق الحديد وهو ساخن " والقت بكلماتها التالية في نبرة عادية وتخبرها ما طلبه منها أسامة حتى يتأكد من شكه:

- أصل مش أنتِ أول واحدة تكلمني على الموضوع ده، ده فيه بنات كتير جم وحكوا ليا عنها، وكمان فيه بنت قالتلي إنها شافت الفُخْلَصَة دي في مرة وهي بتحفرف في الجنيينة اللي ورا المدرسة.

ذلك الشحوب الذي على وجهها، والارتجاف الذي أصاب سائر جسدها، أكد لهند شك أسامة، مريم لها علاقة بتلك الأسطورة التي تسمى " الفُخْلَصَة "، أو قد تكون هي نفسها تلك الأسطورة، ها هي أوشكت على الوصول لغرضها المخفي وراء استدعاء مريم، تتمنى فقط أن تسحبها للحديث عن كل ما تملك من معلومات يخص حالات الانتحار تلك، وما دخل تلك الفُخْلَصَة بالأمر.

- شا... شافتها ازاي يعني؟!

هكذا همست مريم بارتجاف تنتظر إجابة هند التي أخفت بسرعة تلك البسمة الخبيثة التي كادت تنتصر وتعلن عن وجودها.

- احكي لي يا مريم كل اللي تعرفيه، عشان اقدر احكم إذا كان اللي سمعته صح ولا مجرد تخيلات.

نظرة صغيرة للباب، يتأكد أن زميله رحل واخيراً عن الغرفة، والآن جاءت له فرصته الذهبية البحث عن الباب بكل راحة، فرك جلال يديه ببسمة خبيثة على وجهه، كذب على وشك الانقضاض على غزال حر يتمختر أمامه بكل استفزاز لفطرتة.

انحنى أرضاً يقوم بكل ما قام به المرة السابقة، مُتجنباً فحص ما سبق فحصه، يطرق على الأرضية أسفلهُ ينتظر سماع الصدى المطلوب والذي سيخبره أن هذا هو المكان المراد، لكن أثناء ذلك سمع رنين هاتفه، نفخ جلال خديه بحنقٍ شديد، ثم تحرك صوب فراشه يحمل الهاتف ويجيب على الفتصل.

- الو يا اسامة عايز ايه؟!

ابعد أسامة الهاتف عن أذنه من الجانب الآخر يرمقه بتعجب للهجة جلال في الحديث معه، يهمس في رأسه أن الأمر بدأ بعفاف والآن طال حتى وصل للأحمق جلال، ولم يتبق سوى هند في تلك المجموعة التي تحترمه عدا تلك المرات التي يخطأ ويتخطى حدوده تجاه نون النسوة، فهي وقتها تنسى من يكون وتؤدبه.

- بقولك ايه يا اسامة لو متصل عشان تسكت فأنا مش فاضيلك، معلىش عندي مشاغل كتير، روح شوف حد غيري.

- العفو يا جلال باشا، أنا اسف لو عطلت حضرتك،
بس كنت متصل عشان اااا

توقف أسامة عن حديثه الساخر الذي كان يرجو منه أن ينبه جلال إلى لهجته الوقحة مع المفترض به أن يكون قائده، على حديث جلال بلهجة متعالية وكأنه تمسك أخيرًا بفرصته في إعلاء نفسه في ذلك الفريق:

- أخلص يا قائد قول متصل ليه، بلاش مقدمات كثير.

- وعلى ايه قائد يا جلال بيه، خدامك أسامة.
واه لو يرى أسامة تلك البسمة الفختالة التي زينت وجه جلال على الجانب الآخر، بسمة غبية وهو يتخيل نفسه يأمر أسامة وبينها، بل ويزجره، وتخطت أحلامه حدود عقله المسكين وهو يرى نفسه قائدًا لأسامة بعدما يثبت أنه أكفأ منه في هذه المهمة، ولم يدر ذلك المسكين جلال أن صوت أحلامه كان أعلى مما توقع ووصل لمسامع أسامة الذي صرخ بشكل انتفض على أثره جلال:

- و ايه كمان مش عايز تشغلني سواق عند سيادتك؟!

- العفو يا قائد، أنا بس كنت بفكر بصوت عالٍ.
- وكمان مش بتحاول تنكر؟!

- أنكر ليه يا قائد مش بعيد عن ربنا يعني أني ابقى قائد، إذا كان أنت بقيت قائد هي جات عليا؟!

وبالطبع كانت جملته الأخيرة عبارة عن همس بصوت منخفض وهو يلوي شفثيه حنقًا، قبل أن يستمع لسيل الأوامر الصادرة من جهة أسامة، والذي يؤكد عليه بعض النقاط فيما يخص مهمة اليوم.

تلك اللحظة الفاصلة، التي تتخذ فيها واحدًا من أهم قرارات حياتك، قرار أن تنحي خوفك جانبًا وتتمسك بشجاعتك، هكذا كانت تفكر عفاف وهي تدعي انشغالها بغسل الأواني التي استخدمها الطاهي في تحضير الطعام الخاص بالعشاء، فها هي الوجبة الأخيرة للجميع في المدرسة، والتي كانت بداية خطة أسامة، ووضع على كاهلها أصعب مهمة، تشعر كما لو أنه يود التخلص منها.

مسحت عفاف وجهها تجفف العرق الذي ملته، ثم ابتلعت ريقها وهي تقترب من القدر العملاق الذي يحوي الطبق الرئيسي اليوم، نظرت حولها جيدًا تتأكد من عدم عودة الطباخ، والذي ذهب ليؤدي صلاته وطلب منها الاهتمام للقدر، دسّت عفاف يدها سريعًا في جيب ثيابها تخرج منه تلك الزجاجة التي حصلت عليها من أسامة، ولم تعرف من أين حصل هو عليها في الحقيقة.

راقبت عفاف تلك المادة التي اندمجت مع الطعام بسرعة كبيرة، أخذت تحرك الطعام لتتأكد من اختفاء أي أثر لتلك المادة الفخدة، وبعدها أغلقت النيران أسفل القدر، ثم عادت لتكمل غسل الأواني بهدوء شديد تنتظر لحظة انتهاء كل ذلك.

كان الجميع يجتمع في البهو الفستخدم لتناول الطعام ينظرون للعمال الذي يصبّون الطعام أمامهم، ثم شرع الجميع في تناوله بشهية كبيرة، بينما أسامة ومن معه لم يمس أحدهم الطبق الموضوع أمامه.

مدّ جلال يده بكلّ غباء وهو يتناول إحدى قطع اللحم التي تسبح في الحساء أمامه، لولا الضربة التي تلقاها بعنف على قدمه من الأسفل مما جعل صوت صراخه يعلو في المكان، أغمض أسامة عينه

وهو يحاول تهدئه نفسه حتى لا ينهض ويغمس وجه ذلك الأحمق جلال في الطبق الساخن أمامه وينتهي من الأمر برمته، نظر جلال حوله وهو يقول ببسمة غبية:

- الشربة كانت سخنة واتلست.

لم يهتم أحد له وهم يعودون لتناول الطعام والأحاديث الجانبية، بينما نظر جلال بعنف لهند جواره يكاد يرفع يده ليصفعها لولا أنها فتاة، وبالطبع لم يتمكن من قول تلك الجملة أمامها، حتى لا تنقض هند عليه وتحقق معه في جريمته الشنعاء في حق النساء، وظنه المزعوم أنهن ضعاف.

وانقضى أخيرًا وقت العشاء ثقيل على البعض، فمل للبعض الآخر، ليسمع الجميع صوت الفديرة وهي تأمر الجميع بالتوجه للغرف بكل هدوء كما المعتاد.

وهكذا فعل الجميع بالفعل، وتوجه الكل لغرفته وملامح النعاس تظهر بوضوح على الوجوه، مما القى الراحة في قلب أسامة وهو يراقب أولى خطوات خطته تنجح.

منتصف الليل، عندما تأكد الجميع من سقوط افراد المدرسة في نوم عميق، بسبب المخدر الذي وضعتة عفاف بأمر من أسامة في الطعام، تحرك أسامة خارج غرفته وهو ينظر خلفه يتأكد أن إبراهيم ساقط في نوم عميق مثل الجميع.

تحرك بخفه للخارج وهو يتجه صوب المكان المتفق عليه للتجمع، وحينما وصل وجد الجميع ينتظر، ابتسم بسعادة فهذه أول مرة يأخذ فريقه شيء على محمل الجد، ويأتي ليجدهم ينتظرونه بكل هدوء وجدية كما الان.

توقف أسامة أمامهم وهو يردد بجدية:

- اتأكدتوا إن الكل نايم؟!

هز الجميع رأسه ليضيف أسامة بخت شديد:

- تمام زي ما قولت امبارح، مش عايز حاجة تنقص
أو تزيد سامعين؟!

ومجددًا هز الجميع رؤوسهم بجديّة كبيرة ليتابع
أسامة حديثه وهناك سعادة كبيرة تستوطن قلبه، لا
يصدق أن فريقه العزيز يستمع له دون نقاش، دون
أسئلة غبية، الأمر مقلق بعض الشيء، لكنه رائع في
الوقت ذاته.

قال أسامة:

- تمام كده، هند وجلال هتحاولوا تفتحوا باب
القبو اللي قال عليه جلال واول ما تعملوا كده
بلغوني، تمام؟!

هز الاثنين رؤوسهما بجديّة ليضيف أسامة وهو
يرمق عفاف:

- أنا وعفاف في الوقت ده هنستكشف مكتب
المديرة وكاميرات المراقبة ونحاول نوصل لحاجة،
وخلوا بالكم، لو حسيتوا بأي حركة مش تمام بلغوا
الكل، خلوا هواتفكم جاهزة لأي طارئ، تمام يا
رجالة؟!

- والله؟! على اساس أنا وعفاف بشنبات؟!

لم يكذ أسامة فمه ليبرر غلطته التي لا تغتفر في
عين هند، إلا وقاطعته هند بسخرية كبيرة وقوة:

- احنا هنا في الفريق ده زينا زيكم، بنعمل اللي
تعملوه ويمكن أكثر كمان.

وافقتها عفاف الحديث رغم عدم فهمها لسبب
اعتراض هند:

- صح يا هند.

دفعها أسامة بيده في كتفها بحنق:

- صح يا هند ايه أنت فاهمة حاجة؟!

نظر أسامة لهند وهو يقول يحاول أن يهدأ:

- أنا أسف يا هند، أنا متربتش، ممكن بقى نبدا أبوس أيديكم قبل ما مفعول الفخدير يخلص وحد يحس بينا.

هزت هند رأسها على مضض، رغم أنها لم تنه المناقشة بشكلٍ يرضيها، إلا أنها تحركت بصمت مع جلال صوب غرفة جلال؛ حتى يبحثوا عن ذلك الباب الذي يبحث عنه جلال منذ مدة طويلة ولم يعثر عليه حتى الآن، بينما نظر أسامة لعفاف وهو يشير بيديه للطريق في طريقة ملكية:

- اتفضلي يا أستاذة عفاف.

رغم سخرية حديثه والتي استشفتها بشكلٍ واضح من حركته تلك، إلا أنها ملئت قلبها سرورًا وبهجة وهي ترى أسامة يدللها بهذا الشكل ولو على سبيل السخرية.

تحركت عفاف مع أسامة سريعًا صوب غرفة الكاميرات أولاً ليقطعوا الاتصال عنها، حتى لا تُسجل ما يفعلونه، ثم بعدها اتجهوا صوب مكتب الفديرة لبدأوا عملية البحث.

- متأكد أنه هنا يا جلال؟!

همسة صغيرة خرجت من فم هند، ولم يصل لها إجابة سوى صوت شخير من ذلك الذي يتوسط فراشه بكلٍ أريحية كحيوان في بياته الشتوي.

اجاب جلال بجديّة وهو يزيد من الطرق على بقعةٍ معينة بعدما اخذ وقت طويل في فحص أرضية الغرفة كلها، وكان يضع نقطة على كل مكان يفحصه، حتى يقلل من الاحتمالات كل مرة:

- أيوة متأكد يا هند هو هنا في الأوضة دي،

وتحديداً في النقطة دي.

أنهى كلمته وهو يشير للنقطة التي كان يطرق عليها منذ ثوان، لتفتح عينها بلهفة شديدة وهي ترى جلال يتجه صوب الفراش الخاص به، يحضر من أسفله بعض الأدوات التي عمل على جمعها خلال النهار من مخزن المدرسة بشكل سري.

ضربة عنيفة وجهها جلال للأرضية تبعها ارتفاع صوت شخير زميله، وكأنه يعترض على تلك الضوضاء التي يحدثها جلال، انتفضت هند بعنف من مكانها على صوت شخير الرجل، ليتحدث جلال بلا اهتمام وهو يضرب ضربته التالية:

- متاخديش في بالك ده لسه بيسخن، شوية و هيبدا في الجد.

رمقته هند باشمنزاز وهي تتابع ضرباته التي تخرج تزامناً مع شخير الرجل، لتشعر هند أنها على وشك فقدان عقلها من تلك الضوضاء المزعجة، لولا صوت جلال المهلل وهو يقول بسعادة:

- فتح، ده فتح يا هند، فتح.

- شكل مفيش حاجة هنا يا عو.

زفر أسامة وهو ينظر للمكتب بملل، فهم منذ بدأوا البحث وحتى الآن لم يعثروا على شيء، مسح وجهه بحنق ثم قال بعد تفكير:

- هو احنا مكملناش نص ساعة، بس عندك حق شكل مفيش حاجة، خلينا نشوف اوضة المديره نفسها أو الوكيل.

لاقت فكرته استحسان عفاف التي هزت رأسها وهي تترك ما بيدها من اوراق لا قيمة لها، تحوي مجرد أرقام لا فائدة منها، ثم تحركت صوب أسامة

تتجه معه للخارج وهي تقول بهدوء نسبيًا:

- مش عارفة يا عو بس حاسة إن كل ده ملوش
فايدة، يعني اكيد لو فيه ورق خطير أو دليل عليهم
مش هيسبوه موجود، اكيد هيخلصوا منه.

- البنت دي بتفكر صح على فكرة.

نظرت عفاف لأسامة وهي تقول بتعجب:

- أنت قولت حاجة؟!

لم يجيبها أسامة أو يفتح فمه بكلمة وهو ينظر
خلفها بتوجس يبتلع ريقه بقلقي، ليسمع صوتها الغبي
يعلو مجددًا:

- مالك حصل ايه؟!

أشار أسامة بعينه لتنظر خلفها، لتستوعب عفاف
فجأة ما يحدث، لتقول ببسمة غبية:

- أيوة أيوة عارفة الحركة دي، اكيد الشرير ورايا
دلوقتي صح؟!

أنهت حديثها وهي تستدير ببطء، قبل أن تبصر
ذلك الواقف على باب المكتب وعلى فمه ترتسم
بسمة واسعة خبيثة، فجأة تنهدت عفاف براحة
وهي تقول بلطف:

- يا راجل خوفتني، فكرت المديرية هي اللي واقفة.
ابتسم الرجل بسمة جانبية يراقب تلك الغبية التي
أخذت تتحدث بكل جدية:

- ده عم سليمان راجل طيب والله كل يوم كان
بيديني سندوتشات لانشون، ربنا يباركله في صحته
يارب .

رمق أسامة وجه عفاف بصدمة من حديثها، لكن
ذلك العم سليمان اللطيف لم يمهل وقت ليرد عليها
وهو يشير لبعض الرجال خلفه بالتحرك قائلًا بنبرة

- المرة دي هأكلك كتير اوي اوي يا بنتي.

درج مظلم مخيف، لا تعلم أين تخطو فيه، أو كم عدد درجاته، حتى أنك لا تبصر يدك فيه، تمسكت هند في جلال وهي تهبط خلفه على ذلك الدرج الذي وجدوه يقبع أسفل الباب، ابتلعت ريقها وهي تسير بحذر، لا تعلم أين تضع قدمها، تشعر بالأكسجين يقل أكثر وأكثر، كلما تعمقوا في ذلك البئر أو القبو أو أيًا كانت تسميته.

- جلال خلينا نتصل بـ أسامة.

- اصبري بس قربنا نوصل، وبعدين نتصل بيه.

هكذا تحدث جلال وهو يمد قدمه ليخطو الدرجة التالية ولم يدرك بسبب الظلام أنه وصل بالفعل لنهاية الدرج؛ لذا شعر فجأة بوجه يلتصق بأرض ترابية ازكمت أنفه، ليسعل بقوة يحاول النهوض ليتمكن من التنفس جيدًا.

نظرت هند لأسامة وهي تهبط بحذر حتى لا تقع فيما وقع به، تنحني قليلًا وهي تهمس:

- جلال أنت كويس؟!

نهض جلال وهو ينفذ ثيابه مرددًا بوجع:

- كويس، خلينا نشوف المكان ده.

تحرك جلال وخلفه هند التي تذكرت فجأة أمر هاتفها، والذي أغفلته أثناء رحلة هبوط الدرج؛ لذا سريعًا أخرجته تنير به طريقهم، وهم ينظرون حولهم بأفواه مفتوحة يرمقون تلك الجدران التي تحوي رسومات كثير وغرف أكثر، وجماجم معلقة.

- هو احنا نزلنا في مقبرة فرعونية ولا ايه؟!

نظر جلال حوله وهو يجيب سؤال هند المتعجبة

من بقع الدماء التي تزين ابواب الغرف والجماجم التي تملأ الجدران:

- لو لقينا آثار فانا ليا التلات ارباع، اه معلش أنا اللي اكتشفت المقبرة دي وانا اللي ليا الحق في كل اللي فيها.

رمقته هند بحنق شديد ولم تكد تجيبه حتى وجدت مصباح هاتفها يسلط ضوءه على وجه مخيف ظهر فجأة أمامهم، عادت هند للخلف تلقائياً وهي تردد بارتجاف:

- ع.. ع.. عفريت، عفريت.

- لا بقولك ايه جو عفاريت وحراس المقابر ده مياكلش معايا، أنا ليا التلات ارباع وإلا والله انزل المقبرة دي على دماغ اللي فيها.
تحدثت هند وهي تكاد تبكي:

- هي هتنزل على دماغ فعلاً، بس دماغنا احنا.

لم يفهم جلال حديثها وهو يرى نظراتها المتعلقة خلفها، ليشير بأصبعه وهو يقول ببسمة متوترة:

- فيه حد ورايا؟!

هزت هند رأسها بنعم، ليسأل مجدداً:

- حراس مقابر ولا أموات؟!

هزت هند رأسها بلا وهي تكاد تبكي، ليعلو صوت جلال مجدداً وهو يقول بنبرة مرتعبة:

- ايه مستوى أعلى من الأموات؟!

هزت هند رأسها بنعم وهي تعود للخلف أكثر وأكثر، ولم يكد جلال يطرح سؤاله التالي، حتى شعر برأس تقترب منه من الخلف وصوت فحيح مخيف يشبه ذلك الصوت الذي يخرج من الوحوش في أفلام الخيال العلمي، ادار جلال رأسه ببطء شديد صوب كتفه ليلمح رأس لم يظهر منها سوى

عين بزاقة جعلته يرتعش وهو يقول بنبرة باكية:
- خلاص والله هاخذ الربع بس.

الفصل السادس

الغباء...

ذلك الداء اللعين، الذي لم يعثر العالم بكل تطوراته على علاج ينتزعه من جذوره نزغاً، خاصةً مع تلك الآفات التي تنتج عنه، فهو كما عُرف عنه منذ بداية انتشاره، أنه مرض يؤذي صاحبه، ومن يرافقه، لكن ما لا يعلمه أحد أنه قد يكون معدياً في كثير من الأحيان.

بمجرد انتهاء جملة سليمان، حتى دخل بعض الرجال الأشداء للغرفة وهم يجرون عفاف واسامة للخارج تبغاً لأوامر سليمان، لكن عفاف كانت مُصرة وبشدة على غبائها تردد ببسمة وهي تحاول تجنب الأيادي التي امتدت لتمسك بها:

- والله يا عم سليمان ما أنت متعب نفسك، أسامة قالي هيجيب ليا بيتزا بعد ما نخلص، مش كده يا أسامة؟!

لم يجبها أسامة وهو ما زال يقاوم الأيادي التي تحاول أسره، ورغم ارتفاع ضحكات سليمان في الغرفة، إلا أن ذلك لم يمنع عفاف من القول بغباء ومازالت تحت صدمة أن شرير القصة - كما تقول - هو العم سليمان الرجل الطيب صاحب شطائر "اللانشون":

- والله راجل طيب عم سليمان.

هنا لم يتمكن أسامة من كبت صرخته العالية وهو يستدير لها بعدما احكم الرجال قيده:

- طيب ايه يا مُتخلفة أنت، يعني الراجل يعمل ايه عشان تعرفي أنه الشرير؟! يقتلنا ولا يقطعنا؟!

- متستعجلش على حاجة يا ابني كله بوقته.

هكذا تحدث سليمان بخبث قبل أن يتحرك للخارج

وخلفه الرجال يجرون معهم أسامة وعفاف التي قالت وهي تتمسك بأخر ذرات غبائها، بلهجة باكية:
- شوف بيقولك يابني بكل طيبة ازاي؟! ربنا يباركلك يا عم سليمان يارب.

أغمض أسامة عينه يحاول فصل نفسه عن سحابة الغباء التي تحيطه تلك، يفكر في طريقة للنجاة بها من الورطة التي سقط بها، لا يدري كيف تم اكتشاف أمرهم، وكيف لم يتخدر سليمان؟! أين أخطأ هو؟!

ادار جلال رأسه ببطء شديد نحو كتفه الأيسر والذي يشعر بأنفاس بالقرب منه، أنفاس كريهة دافئة وبشدة، لتقع عينه على وجه لم يظهر الظلام منه سوى عين بيضاء كليًا تتوسطها نقطة سوداء صغيرة تكاد لا ترى، ابتلع جلال ريقه وهو يخرج من فمه بصعوبة نبرة باكية:

- خلاص والله هاخذ الربع.

وكل ما صدر من الشخص الآخر هو بسملة أظهرت أسنانه القذرة والتي كانت بعضها سوداء كليًا، بالنظر إليها لا تدري إن كانت سوداء من العفن، أم بدلها هو بمعدن اسود، ولم يهتم جلال بالتفكير في تلك النقطة وهو ينتفض بعيدًا عن تلك الرأس يصرخ برعب يلتصق في هند وهو يشعر بدموعه تمام تسقط رعبًا.

- اتصلي بـ أسامة، اتصلي بـ أسامة.

كانت تلك همسة مرتعشة خرجت من فم جلال وهو يخفي نبرته الباكية عن مسامع هند، حتى لا تسخر منه لاحقًا إن خرجا من ذلك المكان، لكن ما وصل له من هند جعله يلقي كل ذلك خلف ظهره

وهو يترك لبكائه العنان:

- تليفوني وقع ومش عارفة هو فين من الضلمة.
هكذا همست هند وعينها مازالت معلقة على ذلك
الجسد الاسود الفخيف والذي يظهر بعض الشيء
على ضوء الشعلة الصغيرة التي يحملها جسد
آخر خلفه، فهي عند رؤيتها لذلك المشهد المرعب
أسقطت هاتفها من الخوف، فاقت هند من شرودها
في ملامح من أمامها وهي تسمع صوت جلال
الباكي:

- هنعمل ايه؟! هنموت؟!

- اتصل أنت ب أسامة بسرعة قبل ما حد منهم
ياخد باله منا .

ووصل لها همسة جلال الباكية :

- مش معايا رصيد، الباقية خلصت ولسه هتتجدد
اول الشهر الجديد .

استدارت هند له بعنف شديد كالرصاصة وهي
تهمس بعدم فهم :

- نعم؟! هو مش أسامة أكد نكون كلنا على اتصال
معاه وتكون هواتفنا جاهزة؟!

- ما أنا كنت هستلف منك دقيقة لو اتزنقت فيها .

هبطت دموع هند وهي ترى اصحاب الأجساد
السوداء والذين لم يتحركوا مقدار شعره منذ
قدومهم وكأنهم يستمتعون بحالة التخبط والرعب
التي يرونها :

- ادينا اتزنقنا أنا وأنت لما هنتفرم يا فالح، شوف
بقي هنخرج ازاي؟!

- مقدمناش حل غير إننا نستنى لاول الشهر لما
الباقية تتجدد، أنا دافع الفلوس لصاحب السنترال
مقدمًا.

ختم حديثه بقهر شديد وهو يفكر في تلك الأموال الطائلة التي دفعها لصاحب المحل الذي يزوده برصيده الشهري، ماذا إن لم يخرج من هنا حي؟! هل ستضيع عليه أمواله؟! وماذا عن الفتيات اللواتي يعرفهن؟! رباه ستتقطع قلوبهن كمذا عليه .

نظر جلال أمامه وهو يرى تلك الأجساد التي أضحى يشك أنها حية، ثم انحنى أرضاً ببطء شديد وهو لا ينزع عينه من عليهم، يستمع لهمسة هند المتعجبة:

- بتعمل ايه؟! -

امسك جلال بحجر صغير من الأرض وهو يفرد قامته مجدداً هامساً بخبث هو أبعد ما يكون عنه:

- ههؤشهم.

- تهؤشهم؟! هو كلب؟! -

- اششش اسكتي أنت انا عارف النوعية دي كويس.

رمقته هند بسخرية لاذعة، سرعان ما انقلبت لصدمة وهي تراه يتحرك حركات غبية أمامهم وكأنه يستفزهم لقتله، يذهب يميناً ويساراً أمامهم وهو يخرج من فمه تلك الأصوات التي يستخدمها البعض لملاعبة الحيوانات، جلال يتعامل معهم وكأنهم حيواناته الأليفة، ولا يدرك أنه هو من سيقتل كحيوان شريد في نهاية الأمر.

- جلال بتعمل ايه بطل عبط.

وكان غضب وغيظ هند واضحاً تماماً في نبرتها، تستنكر افعال جلال في هكذا موقف، بدلاً من التفكير في الهرب، يستمر في استفزاز من أمامه، ذلك المعتوه سيلقى ميتةً شنيعة.

توقف جلال عما يفعل حينما لم يصل له ردة فعل

من الطرف الآخر يرمقهم بعدم فهم، يبدوون كتماثيل لا شيء يؤثر بهم؛ لذا وقف وهو يلوي شفثيه بتفكير، ثم رمق الحجر الذي في يده ثواني قبل أن يقرر وبتهور أن يلقيه عليهم، ليتأكد أنهم تماثيل.

وهكذا فعل جلال حيث رفع يده يصوب الحجر صوبهم بملامح غير مفهومة، ليشعر فجأة وقبل أن يمس الحجر أحدهم بأسلحة كثيرة تصوب ناحيته هو وهند وأصوات فحيح تعلو في المكان، ابتلع ريقه وهو يردد ببسمة بينما صوته أبعد ما يكون عن الابتسامات:

- طلعوا بجذ مش تماثيل.

كانت عفاف ترتجف رعباً وهي ثجر كالشاه للمذبح رفقة أسامة، يسرون في طرق غير معروفة لا تعلم أين يذهبون، كل ما تدركه أن نهايتها اقتربت، نظرت لأسامة وهي تحاول كتم دموعها تهمس بصوت خافت:

- هما هيعملوا ايه فينا؟ أنا خيفة.

عض أسامة شفثيه وهو لا يعلم ما يفعل، ظن أن خطته تسير بشكل جيد، هو خطط لكل شيء، أين الخل الذي أدى لكل ذلك؟ هو في البداية شك في المديرية ومن معها، والآن تأكد من تورطهم فيما يحدث، لا يعلم في الحقيقة لم يدفعوا بالفتيات للانتحار، لكنه متأكد أن لهم يد في ذلك، حتى لو بشكل غير مباشر.

شعر أسامة بتناقض الأكسجين شيئاً فشيئاً، بعدما دخلوا لأحد الابواب التي تقبع أسفل غرفة سليمان، باب كذلك الذي اكتشفه جلال، ليسأل نفسه كم باب يوجد في تلك المدرسة؟!

وأثناء هبوط الجميع للدرج شعرت عفاف بدفعة قوية في ظهرها جعلتها تطلق صرخة مرتعبة وعلى وشك السقوط على وجهها، لولا يد أسامة التي انتشلتها بسرعة كبيرة جاذبًا إياها لصدره وهو يصرخ بغضب في الجميع حوله، يقاوم مرة أخرى وجنونه يشتعل مُفكرًا في مصيره هو وعفاف، ربما هو لن يتأذى، لكن عفاف قلبه يرتجف رعبًا مما يمكن أن تلاقيه من مصير بين أيدي هؤلاء الوحوش.

سار الجميع في ممر مظلم ورائحة عفنة تتسلل بخبث لأنف الجميع، وكأنهم هبطوا لمقبرة أو ما شابه، تمسكت عفاف في ذراع أسامة أكثر وهي تردد كل ما تعلم من آيات وذكر قد يحفظها، تشعر أنها ثقاد لحتفها.

امتدت يد أسامة تلقائيًا تلتف حول كتفها وهو يجذبها إليه بقوة يحميها حتى آخر لحظة، وقد قرر أيًا ما سيحدث، سوف يدافع عنها لآخر أنفاسه.

توقف الجميع أمام بوابة خشبية في نهاية أحد الممرات، نظر أسامة حوله يحاول تبين أين هم، أو ماذا يحدث؟! لكن لا شيء، كل ما يظهر له هو الظلام فقط، حتى أنه تعجب قدرة هؤلاء الرجال على السير في تلك المتهاة دون أن يضلوا الطريق، وكأنهم خفافيش أو كائنات ليلة.

انتفض أسامة تزامنًا مع انتفاضة عفاف التي صرخت؛ بسبب اليد التي حطت على جسدها وهي تدفعها للباب الذي فتحه أحد الرجال، لم يكد أسامة يرفع يده لينزع يد الآخر عن عفاف حتى وجد نفسه يلقي خلف عفاف بعنف شديد داخل تلك الغرفة القذرة، ذات الرائحة النتنة، أو لنقل مقبرة إن صح وصفها.

تلك اللحظة التي تقف فيها على حافة حياتك،

امامك الموت وخلفك الحياة، تفكر أيهما ستختار؟! الحياة التي اشبعتك حزناً واطعمتك التعاسة دون أن تتبعها ولو بملعقة سعادة حتى، أم الموت المجهول، الذي يخفي لك ما لا تعلمه، لكنه يبدو مغرياً وبشدة.

كانت رشا تستند بظهرها على باب المرحاض منذ ساعات طويلة، فقد تهربت من تناول الطعام؛ حتى تنفذ ما قررته دون أن يشعر بها أحد، ولم تدرك أن وقت الطعام انتهى منذ ساعات وأن المدرسة تفرق الآن في النوم.

نظرت بأعين ضبابية جراء دموعها المكتومة لتلك الورقة التي تتوسط يدها، نفس الورقة التي كانت تجدها دائماً جوار فراش كل من انتحروا قبلها، رسالة أخيرة بحروف تشعر كما لو أنها تنيمك مغناطيسيًا، رسالة تحمل في طياتها خلاصها وخلاص كل من سبقوها، هي من خُدعت وجُرت لذلك المكان القذر الذي كلما تداعت رائحته لأنفها شعرت بالغثيان، في البداية ظنت أنها في كابوس مخيف ستستيقظ منه بفرع، لكن ذلك الجرح في يدها والذي يتسع كل يوم عن سابقه، صفعها بقوة ليخبرها أن ذلك واقع، واقع مرير سقطت به بسبب خداع ذلك الحقير الذي اوهمها بالحب حتى تترك له نفسها، ثم سحبها حتى ذلك المكان، ذلك الحقير الذي أخبرها بكل وقاحة ألا تبتأس فهي ليست الحمقاء الوحيدة التي سقطت في شبابه، فكل من سبقوها كانوا يمثل حمقها .

سقطت دموعها مجددًا بعدما كانت قد توقفت، تتساقط الأدمع على أحرف تلك الرسالة التي أتت كخلاص لها " انتهى وقت عذابك، وإن وقت خلاصك "، أنهت قراءة الرسالة للمرة التي لا تعلم

عددها وهي تنظر للعبة التي بيدها في شرود كبير قبل أن تغلق عينها وقد سلمت روحها لليأس ترفعها ببطء صوب فمها لتضع النقطة في نهاية سطر حكايتها.

كانت النظرات ال متبادلة بين جلال وهند وهم يجرون نحو جهة غير معلومة لكليهما، توحى بمدى رعب الاثنين.

حاول جلال الإفلات من بين أيدي هؤلاء ال... حسنا في الحقيقة هو لا يجد مسمى لهم، يبدون للوهلة الأولى بشر عاديين، لكن تلك الوشوم السوداء والحلقات المعدنية التي تملأ وجوههم تخبرك أنهم ابعدها ما يكون عن البشر، هم أقرب للوحوش، أو لسكان الجزر الذين سمع عنهم سابقا، أكلي لحوم البشر. وعند تلك الفكرة فتح جلال عينه بصدمة وهو ينظر لهند التي كانت تسير معهم دون مقاومة حتى وصل لها صوت جلال:

- ايه يا هند يعني مش شايف ثورات وانتفاضات على كيفية معاملة النساء؟! ماشيين يزقوا فيك لما هيدفنوا وشك في التراب ومسمعتش صوتك.

نظرت له هند نظرة جانبية وهي تهمس برعب:

- ما تسببهم يا اخي يشوفوا شغلهم، هما معملوش حاجة غلط، ولو عملوا المسامح كريم يا جلال.

أطلق جلال ضحكة ساخرة عالية وهو يراقب تحركهم في ممر مجهول وقد بدأت قدمه تؤلمه من السير، نظر حوله نظرة سريعة قبل أن يقترب في سيره من هند هامسا:

- بقولك ايه يا هند، أنا هعد لتلاته ونجري منهم ونتوهم، لغاية ما نلاقي مكان نقدر منه نكلم أسامة.

- مش قولت إنك مش معاك رصيد؟!

- هكلمه شباك، يلا مع تلاته.

صمت جلال وهو ينظر حوله، ثم في ثواني صرخ بشكل مُفزع:

- تلاته.

ودون شعور كانت هند تركض من الجميع بشكل غافلهم ليصرخ جلال وهو يشير لها:

- أمسكوها بسرعة قبل ما تهرب.

نظر أحد الرجلين له نظرات مُخيفة ليتراجع هو للخلف يقول وقد فشلت خطته في جعلهم ينشغلون بهروب هند ويهرب هو لمحادثة أسامة، ثم يعود لهند وينقذها:

- ايه بتبصوا ليا كده ليه هي اللي هربت مش أنا، أنا شاهد ملك على فكرة وكنت معاكم.

ولم يكد ينهي حديثه وهو يجد أحدهم يجذبه بعنف من ثيابه، ثم يفتح أحد الأبواب الجانبية ملقيا به داخلها بينما صرخات جلال تكاد تصم الأذان:

- ده ظلم، أنا شاهد ملك، هي اللي هربت، أمسكوها هي مش أنا، أنا معاكم يا باشا.

توقف جلال عن الحديث وهو يجد الباب يُفتح وتلقى هند داخله وصوت صياحها يكاد يسمع الموتى:

- يا حقير أنا هوريكم يا كلاب ازاي تعاملوا الستات يا شوية همج، هقوم عليكم منظمة حقوق المرأة يا ذكوريين .

توقفت هند عن الصراخ وهي تسمع صوت جلال من خلفها يقول بتفكير:

- هو احنا معندناش منظمة حقوق رجال؟!

استدارت هند بعنف له وهي ترمقه بنظرة مخيفة

تتحرك صوبه، تتذكر جيدًا صراخه الذي سمعته
 أثناء هروبها وهو يشي بها، ذلك الحقيق أرادها أن
 تكون ظعم لهم.

- بتبصيلي كده ليه يا هند؟ ده أنا حتى اللي فكرت في خطة هروبنا وأنت اللي سبتيني وجريتى.

- تصدق فعلاً إنك محتاج منظمة حقوق رجال.

عاد جلال للخلف وهو يبتلع ريقه متحدًا بمزاح:

- وليه كده نزحم مصر بالمنظمات، كفاية بتاعة النساء، بعدين يا هند الرجالة يا ختي واخدين حقهم تالت ومملت مش محتاجين أى منظمات.

ابتسمت هند بسمه مخيفة وهي تقترب أكثر وعينها تمتلئ شراً:

- عندك حق يا جلال، أنت مش محتاج منظمة حقوق رجال، أنت هتحتاج منظمة إغاثة الحيوانات.

- هنعمل ايه يا اسامة؟!

نظر لها أسامة سريعاً بعدما كان شاردًا في طريقة للخروج من هنا، يرمقها بنظرة غريبة، جعلتها تنظر حولها في الظلام بتعجب تبحث عن شيء مريب قد يرسم هكذا نظرة في عينه.

- هو فيه حاجة حواليا؟!

- نادتينى أسامة؟!

رُفِرت عَاف بَاهِدَابَهَا بَتَعَجِبْ شَدِيد، لَا تَفْهَم
سَبَب سَوَالِهِ ذَاكَ فِي هَكَذَا وَقْتُ، لَكِنَّهُ هُزْ رَاسَهُ
بِبَسْمَةِ صَغِيرَةٍ وَهُوَ يَرُدُّ أَثْنَاءَ عَوْدَةٍ عَيْنُهُ لِلِاسْتِقْرَارِ
فِي الْفَرَاغِ أَمَامَهُ:

- من المرات النادرة اللي تنادينني باسمي فيها.

- وده حاجة وحشة؟!

- لا خالص، ده حاجة حلوة.

صمت وصمتت هي ولم يعلو في المكان سوى صوت انفاسهمها، لكن قررت عفاف أن تزاحم صوت الأنفاس بصوتها المتردد وهي تقول :

- أسامة، كنت عايزة اعترف لك بحاجة بما إن دي آخر لحظاتنا.

انتبه لها أسامة بكل حواسه وقد بدأ يخفق قلبه بقوة، وهو يحاول التحكم في تلك البسمة التي تكاد ترسم على فمه حتى لا يخلجها وتراجع عن حديثها.

لعبت عفاف في يديها بخجل شديد تحاول تجنب النظر لعينه التي تكاد تخترقها وهي تقول بعدما ابتلعت ريقها لتجلي حلقها:

- فاكر اليوم اللي اشتريت فيه كاميرا جديدة واتكسرت في نفس اليوم وقولتلك إن جلال هو اللي عملها؟! في الحقيقة أنا اللي كسرتها وقتها، وأنا بطحن بيها المكسرات عشان صينية الكنافة اللي عملتها بعدها.

خيبت أماله؟! لا بل نسفتها نسفاً، لم يتوقع أن يكون ذلك هو الموضوع التي تكلمت لتعترف به في آخر لحظاتهم سوياً، يشعر بأحلامه تتساقط من ارتفاع عظيم بعدما كانت تخلق في السماء للتو، تلك الفتاة التي تقبع أمامه لها قدرة عجيبة على تغيير مزاجه في طرفة عين، رباه كيف تستأثر بكل ذلك الغباء وحدها؟!

ابعد أسامة عينه عنها بصدمة وهو ينظر أمامه مجدداً يحاول استيعاب ما تحدثت به منذ ثواني، بينما هي مالت برأسه لترى ملامحه وردة فعله:

- زعلان؟! انا قولت بس اخلص نيتي قبل ما نقابل وجه كريم.

تحدث أسامة بصوتٍ مُنخفض ظهر فيه حنقه واضحاً دون أن يكلف نفسه عناء الالتفات لها:

- كلمة كمان وانا اللي هخلص عليك يا عفاف، وهطحنك زي المكسرات بأي طوبة هنا.

- كل ده عشان كاميرا، متخليش قلبك أسود بقى، ده احنا شوية وهنودع.

انتفض أسامة في غضبه وهو ينظر لها بحنق:

- لا أنا قلبي اسود يا عفاف، قلبي اسود ومخطط اسود وفيه نقط سودة، ارتاحتي يا عفاف؟! اسكتي بقى عشان مش ناقصك.

رمقته عفاف نظرة جانبية حانقة والغيط يملأ قلبها تجاهه، تنهدت ببطء، ثم نظرت أمامها، ليعم الهدوء في المكان قبل أن تتحدث هي ببطء:

- هو لو احنا عيشنا وكملنا في الحياة دي، هيبقى في امل تبصلي عادي كأي بنت بعيداً عن " مدام عفاف " موظفة السجل المدني زي ما بتناديني؟!

هي من اختارت تلك الحياة، اختارت أن تكون الوسيط بينهم وبين الموت، اختارت نفسها عليهم. أنانية؟! نعم هي أكبر أنانية بتلك الحياة، ومن لا يكون أنانياً إذا تعلق الأمر بحياته؟! ضحت بالكثير لأجل أن تبقى هي، رأت أرواح تغادر هذه الحياة، لأجل أن تحتفظ بروحها هي، هي ليست فقط بالأنانية، بل هي حقيرة، حقيرة لدرجة جعلتها تستبدل نفسها بأختها التوأم، حينما اختارها ذلك القدر الذي يقتنص الفتيات لأجل جماعته، وعلمت مبكراً خطته، اختارت أن تزج بأختها التوأم في

الأمر وتنجو هي بروحها، ليكتشف ذلك القدر العوبتها ويربها الجحيم، قبل أن تترجاه أنها ستفعل أي شيء له، لكن فقط يرحمها، وقد كان، تركها لتصبح جندياً له، جندياً في جيش الموت الذي هو جزء منه، لتكن هي تلك الفتاة التي يعتبرها الباقين مُخلصة، بينما هي أبعد ما تكون عن تلك الكلمة، هي أداة تنفيذ لحكم سبق ووضعه، هي من تتخلص من الفتيات اللواتي انتهى دورهن من قبل المنظمة التي تعمل لحسابها، هي لم تُسمى مُخلصة لأنها تخلصهم من ألمهم كما يُشاع عنها، بل تسمى المُخلصة لأنها تُخلص المنظمة منهم .

كانت مريم تفكر في كل تلك الأفكار وهي تسير خلفه، ذلك القدر الذي خدعها سابقاً، ثم خدع الباقين من بعدها، هو نفسه الذي يستدرج الفتيات لمنظمتة القذرة، حتى يقتاتوا على دمانها وكأنهم مصاصي دماء، يمتصون دمانهم قطرة تلو الأخرى، حتى يقرروا هم أنها لم تعد مفيدة لهم ويحتاجون لأخرى.

وضعت مريم يدها على فمها وهي تكاد تتقن من تلك الأفكار، وتلك الرائحة التي تنبأها بوصولها لوكر تلك العصاة التي تغتال براءة كل فتاة تقع تحت يدهم.

نظرت مريم لظهر ذلك القدر وهي تتمنى لو تمتلك خنجرًا تغرزه به وتنتقم لنفسها ولجميع من وقع فريسة له.

فجأة توقف ذلك الذي يسير أمامها وهو يستدير ببسمة مخيفة، جعلت قلب مريم يرتجف رغم ثابتها الظاهري:

- وقفت ليه؟!

- عشان وصلنا.

نظرت مريم حولها بتعجب، كانت تقف في منتصف ممر ممتلئ بغرف تُستخدم للقيام بأعمال لا تود تخيلها حتى:

- وصلنا فين؟! مش الاجتماع في البهو؟!

ابتسم الآخر بسمة مخيفة وهو يمسك يدها فجأة، ثم دفعها بعنف لأحد الأبواب مغلقاً إياه بسرعة وهو يستغل صدمتها بما فعل يردد وضحكته تصدح في المكان:

- معلىش بقى يا ريمو، أصلهم ملوا منك، أنت عارفاهم بيملوا بسرعة.

صرخت مريم وهي تتجه الباب تطرقه بعنف شديد صارخة به أن يفتحه وقد بدأت أصوات بكائها تختلط بصراخها:

- هقتلك والله لأقتلك، هقتلكم كلكم، واحد واحد، خلاص مبقاش فيه حاجة تهمني، سامع؟! قولهم إني هقتلهم كلهم وأنت أولهم يا قذر.

كانت نظرات أسامة تدور على وجه عفاف وهو يحاول تهدئة ضربات قلبه يتحدث بتردد، خوفاً أن يكون ما وصل له خطأ:

- قصدك ايه يا عفاف؟!

صمت عفاف وهي تنظر بيدها التي أخذت تحركها بتوتر شديد، ولم تدر ما تقول؛ لذا استمرت في صمتها علّه يفهمها دون الحاجة للحديث، ابتلع أسامة ريقه وهو يقترب قليلاً يحاول الإمساك بزمام المبادرة يردد:

- عفاف أنا...

صمت قليلاً ثم نظر لها مجدداً وهو يكرر نفسه حديثه:

- عفاف...

ومجددًا صمت وهو ينظر لها بتفكير يحاول
تجميع ما يود قوله، ويفكر لمدى بعيد حول نتائج
ما سيقوله، لكن صوت عفاف الحانق أخرجه من كل
ذلك وهي تردد:

- أنت كل جملة هتنقضي منها شوية؟! مرة عفاف
أنا، ومرة عفاف، والأخير سكت، ايه كلامك خالص؟!
بطايرتك فضيت؟!

رماها أسامة بنظرة مشتعلة وهو يردد مغتاظًا من
سخريتها:

- تصدقي بالله أنت

صمت مجددًا وهو ينظر بتركيز لعفاف التي لوت
شفتيها بحني في حركة سوقية:

- خيبة عليك، حتى الشتيمة مش عارفة تطلعها؟!
- اششش اسكتي شوية واسمعي.

- أيوة أيوة أيوة، عارفة أنا الحركات الفكسانة دي،
هتقولي اسمعي صوت قلبي و....

قاطع أسامة حديثها وهو يرفع يده يود لو يسقطها
على وجهها في صفة تهز رأسها الفارغ:

- أنت لو مسكتيش هسمعك صوت كف يحولك،
اسكتي شوية.

وصمتت بالفعل، ليس لحديثه الحاد معها، ولكن
بسبب نظراته التي شعرت أنه يقتلها بها، عم الصمت
في المكان وعفاف تنظر بغباء لأسامة تحاول معرفة
سبب صمتهم، نفخت بضيق وهي تشعر بملل،
لم تعتذ يومًا هذا الهدوء، فتحت فمها وهي تكاد
تتحدث، لولا تلك الصرخات التي وصلت لمسامعها
هي وأسامة، فتحت مريم عينها بصدمة وهي تنظر
لأسامة تهمس برعب شديد وقد بدأ الخوف يزحف

لأوصالها مجدداً بعدما تناسته في غمرة حديثها مع أسامة:

- دي واحدة بتصرخ، هما هيعذبونا بالدور ولا ايه؟
هو فيه ايه؟!

تزامن فتح الباب مع انتهاء جملة عفاف، ليتسرب ضوء خفيف للغرفة التي يجلس بها الاثنين ويصيح بها صوت يتحدث ولكنه غريبة على مسامعهم:
- جه الوقت.

نظرت عفاف لأسامة وهي ترتعش رعباً تردد بعدم فهم:

- وقت ايه يا عو؟! وقت ايه؟!
صرخ أسامة في وجهها وهو يراقب تحرك بعض الرجال صوبه:

- وانا كنت شغال معاهم يعني عشان اعرف؟!
اسكتي مش وقته غباءك ابوس ايدك.

جذب الرجال أسامة، ثم عفاف وهم يتحركون بهم للخارج صوب المجهول، وعفاف قد بدأت تنهار وهي تفكر في كم الطرق البشعة التي قد يقتلوا بها دون علم أحد بما حدث لهم، وأثناء تحركهم سمعوا نفس الصرخات تصيح مجدداً، لكن تلك المرة اقوى واقوى، استدار أسامة يبحث بعينه عن مصدر تلك الصرخات، لكن الظلام لم يساعده في ذلك، لولا تلك الشعلات التي توضع في المكان بشكل يجعلك تشعر كما لو أنك عدت للعصور المظلمة، وعلى ضوء المشاعل لمح أسامة وجه فتاة يلتصق بحديد أحد الأبواب وهي تصرخ بعنف، فتح أسامة عينه بصدمة وهو يهمس وقد عادت له ذاكرته بخصوص ذلك الوجه الذي ارته له هند صباح اليوم :

- مريم؟!

نظرت له عفاف بعدم فهم وهي تردد همسته:

- مريم مين اللي بتفكر فيها دلوقتي؟! بتخوني يا أسامة واحنا خلاص هنموت؟! ده وقته خيانة بزمتك؟!

- يعني هو وقت غباء بزمتك؟!

ولم تستطع عفاف الرد عليه بسبب توقفهم فجأة في مكان أكثر إنارة من غيره داخل تلك المتاهة المخيفة، شعر أسامة بضغط على كتفه واحدهم يجبره على الجلوس على المقعد القابع جواره، وبدون أي مقاومة جلس عليه وهو يشعر بيده تكبل من الخلف وجواره تقبع عفاف التي بدأت ترتجف بكل ما للكلمة من معنى، فمن قريب تلاحظ تحرك جسدها بشكل هستيري يدل على خوفها.

فجأة سمع أسامة وعفاف صوت عال جهوري يردد في المكان:

- مرحبًا بك حضرة المحقق في مقري المتواضع؟! رفع أسامة يحاول البحث عن مصدر الصوت، حتى وجد جسد يقترب من بقعة الضوء التي يتوسطها هو وعفاف، ليظهر وجه سليمان وهو يردد كلماته بسخرية كبيرة:

- نورت والله.

- بنورك يا غالي.

ابتسم سليمان بسمه جانبية وهو ينظر له جيدًا قبل يقول ببطء وبصوت غامض:

- تعرف إنني مستخسرك في الموت؟! دماغك دي حرام تروح على الفاضي كده، خلال فترة صغيرة بس قدرت توصل لمقرنا وتعرف أكثر من اللي مسموح ليك تعرفه.

صمت قليلًا ثم همس بسخرية:

- أنت وفريقك الغبي.

همس أسامة في نفسه بحنق:

- جايين ليا الكلام دايفاً.

رفع أسامة رأسه ينظر في وجه سليمان ثم همس بكلمة واحدة:

- مش ملاحظ أن الجو ده قديم شوية؟! يعني مربوطنا ومقعدا تحت لمبة ليد ٤٠٠٠ ليون، ناقص تطفي السجارة اللي في ايدك دي فينا.

تحركت عين سليمان للسيجارة التي تقبع في يده، ثم أطلق ضحكات عالية وهو يصفق بيده:

- الظاهر مستوى خفة الدم في الفريق ده أعلى من مستوى الذكاء.

- يعني هيكون غباء وتقل دم؟!

ابتسم سليمان وهو يقترب من وجه عفاف ثم همس بسخافة مصطنعة:

- أهلاً يا فوفا، تعرفي أنك اكثر واحدة زعلان أنها هتموت كده؟! بس للأسف ده جزاتك عشان تتعلمي بعد كده متلمسيش ولا تفتشي في حاجة غيرك، ده لو فيه بعدين يعني.

رمقته عفاف بعدم فهم ليهمس هو لها:

- المعمل والازالة اللي لقتيها يا فوفا.

فتحت عفاف عينها بصدمة وهي تهمس:

- أنت اللي

- أيوة بالضبط أنا اللي بعمل علب السم يا فوف، أصلي كنت خريج علوم قبل ما اشتغل مدرس كيمياء في المدرسة دي بعدين اترقى وأبقى وكيل. كان عقل أسامة يعمل بسرعة يحاول ربط كل شيء ببعضه، فقط يود معرفة ما علاقة كل ذلك

بما يحدث للفتيات، أو كيف هو الان أمامه بدلاً من سقوطه في نوم كغيره من أفراد المدرسة؟! ولم يدرك أسامة أن صوت أفكاره كان عالي للحد الذي وصل إلى سليمان والذي قال ببسمة مقبلة:

- لاني ببساطة سابقكم بخطوة من بداية الحكاية، من اول اجتماع ليكم هنا وأنتم بتتفقوا تعملوا ايه وانا عيني عليكم.

لم يفهم أسامة حديثه لثواني يهز رأسه بعدم استيعاب:

- اول اجتماع ف...

صمت ثواني وهو يهمس بعدم تصديق يرفع رأسه بعنف وبسرعة كالرصاصة يردد بصدمة وبسمة ترتسم على فمه:

- ابراهيم؟!

- عيونه.

استدارت جميع الرؤوس صوب الاتجاه الذي ظهر منه ابراهيم وهو يبتسم بسمة مقززة جعلت أسامة تتعالى ضحكاته، لا يصدق أنه كان غبي لتلك الدرجة التي جعلته يبعد عينه عن ابراهيم، انشغل بحل الغاز الانتحار متناسياً أمر مراقبة الجميع.

توقف ابراهيم جوار سليمان وهو يقول بأسف مصطنع:

- معلش يا زميلي بس أنا تقريباً كده قوت لعمي سليمان على اللي سمعته، أصل بيني وبينك مش بحب اخبي عنه حاجة، وكمان الخطة الهيلة بتاعتكم اللي خططتوا ليها يوم موت سلمى برضو أنا اللي قولتها لعمي سليمان، أصل أنا فتان.

أنهى ابراهيم حديثه وهو يضحك بعنف مما جعل عفاف ترمقه باستحقار، هي لم ترتج له منذ رؤيته

أول مرة.

تحدث أسامة وقد بدأ قلبه يرتاب مما يحدث، الأمر مازال غامضًا والخوف يزداد:

- اللي خلاك تعرف خططنا يخليك كمان تعرف أننا مش لوحدها وأن لو اختفائنا طول ف فيه فريق هيقلب المدرسة علينا.

ابتسم سليمان بسمه جانبية وهو يشير جانبه باتجاه معين بسخرية واستهانة:

- الفريق ده؟!

بمجرد انتهاء كلمته كان بعض الرجال يقودون كلاً من جلال وهند إليهم وهو يربطوهم جوارهم ليقول أسامة ببسمه صغيرة :

- أيوة هو ده، تسلم ايدك.

كانت هند تقاوم وبشدة ربطها وهي تصرخ في وجوه الجميع حتى انتبهت فجأة لتواجه عفاف واسامة، ليتحطم أملها في الخروج من هنا وبعنف، فجأة سمع الجميع صوت صرخات تعلو أكثر وأكثر ليظهر أحد الرجال وهو يجر مريم بعنف ويصيح صوت سليمان يقول باستمتاع:

- أنا قولت نخلي الحفلة جماعية، ونلم الحبايب كلهم.

صرخت مريم وهي تتحرك بعنف بين أيدي الرجال تصرخ بجنون:

- هقتلكم كلكم، والله لاقتلكم زي ما خلتوني اقتل الكل.

اقترب ابراهيم من مريم وهو ينحني قليلاً يهمس لها بصوت بدى وكأنه صوت لشخص مجنون:

- ايه بس يا ريمو، مش وحشاك مرام حبيبتك، وكمان منار وغيرهم من صحابك الحلوين اللي

راحوا على ايدك؟!

بصقة هي كل ما خرج من فم مريم كإجابة على سؤال ابراهيم وهي تهمس له بصوت ملن بالغل والكره:

- مش قبل ما اخد روحك معايا يا واطي.

ابتسم ابراهيم بسمه سوداوية وهو يمسح وجهه ببطء، ولم يكد ينزع يده من على خده حتى استقرت على خد مريم بصفعة عنيفة، ثم استقام يقف بجوار سليمان الذي قال وقد بدأت ملامحه تتجمد ونبرته تشتد:

- جهزوهم عشان الاضحية...

الخاتمة

راقب الجميع انسحاب سليمان وإبراهيم ومن معهم، وما زالت صدى كلمات سليمان ترن في الأذان، الكل غرق في تفكيره الخاص، كل يفكر فيما سيحدث له، وما هو مقبل عليه.

قاطع جلال ذلك الصمت الخانق وهو يقول بتفكير وعلامات التعجب تظهر بوضوح على وجهه معقبا على حديث سليمان:

- أضحية ايه؟! احنا لسه في شوال.

استدارت له جميع الرؤوس باستنكار لغبائه، لكنه لم يتوقف عند ذلك الحد أو تمنعه تلك النظرات من إخراج ما يعتمل في صدره:

- ايه بتبصولي كده ليه؟! والله لسه بدري على ذي الحجة.

تجاهله الجميع تمامًا ولم يجبه أحد أو يرد عليه بكلمة وهم ينظرون للإمام بشرود بينما جلال مازال يرغو ويزيد مع نفسه بحنق شديد، يحاول معرفة سبب صمتهم ذلك وما زالت تمتماته تعلو بحنق وتذمر:

- مش فاهم يعني هيضحوا ازاى في شوال، هو أي هبل وخلص؟!!

مصمست هند شفتيها بسخرية واضحة وهي تجاري غباء جلال في حديث خرج منها جاد بشكل مضحك:

- هيروحوا من ربنا فين بس؟!!

هز جلال رأسه بياس وكأنه رجل عجوز حزين كل الحزن على ما وصل له أخلاق الشباب، وعلى ما تدهورت إليه حالة الجميع، يشارك هند في مصمصة شفتيه، والحنق يعلو وجهه كهجوز ثراقب فتيات

يتراقصن في الطرقات.

تعلقت جميع النظرات لجلال في سخرية واستنكار جعله يصمت بخوف من نظراتهم الفشتعلة.

صمتوا جميعاً وعاد كل لأفكاره، لولا اصوات الشهقات الخافتة التي ذكرتهم فجأة أنهم ليسوا وحدهم في تلك الغرفة، وأن هناك رفقة معهم، رفقة قد تحل لهم جميع الالغاز العالقة في رؤوسهم.

استدارت جميع الرؤوس لمريم التي علت شهقاتها بعنف وهي تردد كلمات غير مفهومة لأحد، لا يتضح من همسها سوى اسم واحد " مرام "، ذلك الاسم الذي ذكره ابراهيم منذ قليل، يبدو أنها تأثرت بموت تلك الفتاة أكثر من الباقيين.

- مريم.

كانت تلك الهمسة خارجة من فم أسامة بعدما حاول صبغها بكل ما يمتلك من هدوء وحنان لتلك الصغيرة:

- أنت كويسة؟! حد عملك حاجة؟!

سؤال غبي؟! نعم وبشدة، سؤال ليس من المفترض أن يُطرح في هكذا وضع، يسألها إن كانت بخير وهم مُقيدين وعلى وشك الذبح، يا لك من أحقق أسامة!

رفعت مريم عينها له وهي تهمس بصوت خافت هامس:

- أنا مش عايزة اموت، مش عايزة اموت وانا لسه شايلة ذنبهم، مش عايزة اموت وانا قتلتهم.

أنهت حديثها وهي تنفجر في البكاء أكثر، وقد علت شهقاتها بشكلٍ اثار شفقة الجميع، رغم عدم فهمهم لما يحدث بالضبط، عدا أسامة الذي بدأ يتأكد من ظنونه، وبدأت الخيوط تتجمع في رأسه.

- أنت الفلّصة؟!

رفعت مريم رأسها بعنف وهي تنظر لأسامة من بين دموعها، لا تعلم هل كانت واضحة للجميع بهذه الدرجة؟! ألهذا سوف يتخلصون منها؟! لأنها كشفت؟!

اشفقت هند من ملامح العذاب التي علت وجه مريم، لتقرر التدخل والحديث برفق كعادتها مع مريم:

- مريم حبيبتي، احكيلنا اللي حصل واحنا هنحاول نساعدك.

مجرد عرض صغير من هند جلب بسمة ساخرة لوجه عفاف، أي مساعدة تلك التي سيقدمونها وهم في الأساس لا يمتلكون مساعدة أنفسهم؟! لكن ورغم عدم منطقية حديث هند، إلا أن مريم رفعت رأسها وهي تهمس بصوت مرتعب وكأنه قادم من اعماق الجحيم بعدما شهدت بعينها أهوال لم يكن يحب أن تراها:

- مش هيسمحوا لحد أنه يخرج من هنا عايش، هيقتلونا كلنا.

- هما مين دول يا مريم؟! وايه غرضهم من انتحار البنات؟!

وجهت مريم رأسها لمصدر السؤال لتجد أنه خارج من ذلك المعلم الذي يدعى أسامة، وبسبب تعاضم إحساس الذنب داخلها، وتراكم الاوجاع في قلبها، قررت أن تبوح بكلّ ما تملك من معلومات، علّها تجد المواساة، علّ أحدهم يطمئنّها أنها ليست مخطأة، رغم يقينها بالعكس.

- هما... هما منظمة كبيرة أوي بيسموا أنفسهم "عبدة الشيطان".

كان سليمان يقف أمام أحد المقاعد الضخمة التي تضم جسد عضلي مليء بالوشوم والحلقات المعدنية، وخلفه يقف ابراهيم وهو يحاول التماسك في حضرة ذلك الرجل المخيف، الذي لم يقابله طوال فترة انضمامه لذلك الكيان سوى مرات تعد على أصابع اليد الواحدة.

- إذا كدنا نُكشف؟!

- لا تخف يا سيدي، لقد توليت الأمر وهم لدينا هنا في انتظار أوامرك لمعرفة ما سنفعله بهم.

صمت طويل ساد المكان، حتى بدأ ابراهيم يتململ في وقفته بتوتر، يشعر بالحرارة تنبعث لجسده وهو يرى نظرات ذلك الرجل تتجه له، أو ربما ليس له، لا يعلم هو فقط يخشى أن يرفع رأسه وينظر إليه.

- وتلك الصغيرة التي أحضرها ذلك الشاب خلفك؟!

انتفض ابراهيم وهو يعلم أنه المقصود بحديثه، وأن مريم هي تلك الفتاة التي يقصدها أيضًا، وصل صوت سليمان الهادئ بشكل يحسد عليه لمسامح ابراهيم:

- وهي أيضًا احضرناها، فلن نجازف بتركها بعد كل تلك الأخطاء التي كانت ترتكبها.

هز الرجل رأسه ببطء قبل أن يقول بهدوء شديد:
- لا أود السماع عنهم مجددًا، تخلصوا منهم جميعًا، أو...

صمت بشكلٍ اثار ريبة الاثنين وبشدة، ثم عاد صوته ليصدح بشكل مرعب وهو يقول موجهًا حديثه لإبراهيم، الذي انتفض داخليًا:

- دعنا نرى مقدار انتمائك لنا ابراهيم وتخلص منهم بنفسك، وبعدها ستكون أحد أفراد منظمتنا

بكل سرور.

صرخات وأهات تخترق مسامع مريم وهي ترى ما مرت به يعبر من أمام عينيها، تتساءل كيف تحملت كل هذا، بل الأخرى كيف فعلت كل هذا؟! داست على براءتها وطحنت ضميرها حتى تنفذ كل ما طلب منها؛ في سبيل الحفاظ على حياتها، والآن تتساءل هل كان الأمر يستحق ما فعلته؟! هل حياتها ثمينة لتلك الدرجة التي جعلتها تقدم تضحيات فاقت قدرتها؟! ثمينة لدرجة أن تقدم اختها كأضحية لبعض من المجرمين القتلة؟! والاهم هل كانت تأمل أن تنجو بعد كل ذلك بحياتها؟! في النهاية ها هي ستموت بعد كل ما صنعت له لأجل نفسها، مرحى يا مريم اضحيت أكبر حمقاء في هذا العالم.

- عبده شيطان؟! -

تساؤل متعجب خرج من فم جلال فرقع تلك الفقاعة السوداء التي أحاطت بها مريم نفسها، لتستفيق على نظرات الجميع المترقبة لها بفضول وصدمة، عدا جلال الذي همس بعدم تصديق:

- بيعبدوا الشيطان؟! دول كفرا ولا ايه؟! لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

رمقه أسامة بنظرة جعلته يتراجع عن باقي حديثه الأحق الذي كاد يخرج من فمه في التو، لولا زجرة أسامة له، فهو لا ينقصه غباءه الآن:

- قولي يا مريم كل اللي تعرفيه وصدقيني هعمل كل اللي أقدر عليه عشان اخرجك من هنا.

نظرة شك وعدم تصديق افلتت من حصار أعين مريم وهي تنظر لوجوه الجميع، لكن ما هي سوى ثوانٍ حتى استسلمت الأمر الواقع وهي تخرج كل ما بجعبتها لهم:

- مدرسة ميلر، المدرسة دي زمان كانت ملك خواجه اسمه ميلر من أيام الانجليز لما دخلوا مصر، بنى المدرسة وأسسها بكل اللي تحتاجه عشان بس تكون غطاء يداري وراه أعماله الثانية.

راقبت مريم نظراتهم قبل أن تكمل بجديّة:

- عبادة الشيطان، لأنه كان في اعتقاده إن المكان ده بالذات مقدس وأنه انسب مكان يمارس فيه طقوسه هو واللي معاه، وبالفعل حصل كده وبدأ يستدرج جماعته واحد واحد للمكان، واتخذوا من القبو ده كله اللي انتم شايفينه مقر ليهم، لغاية ما في يوم لقوه مقتول بشكل غامض ومحدث عرف السبب، البعض بيقول أن منافس ليه على قيادة المجموعة دي هو اللي عملها، والبعض بيقول أنه ضحى بجسده عشان ينال رضا الشيطان، بعد موته ساءت احوال المدرسة واتقفلت، لكن جماعته مبطلتش تقوم بأعمالها القذرة، لغاية ما رجع شخص واشترى المدرسة، وفتحها تاني والشخص ده مكانش عارف ايه اللي بيحصل بالضبط في المدرسة .

صمتت تتنفس من بين حديثها، ثم أكملت بكل ما علمته من خلال ابراهيم والكتب التي وجدتها في قبو ما هنا:

- بعد ما المدرسة اتفتحت تاني بدأ يحصل حوادث غريبة وحالات قتل اغرب، لغاية ما مرة واحدة هديت حالات القتل، وبدأت حالات الانتحار تزيد.

لحظات من الصمت شعر بها الجميع ثقيلة عليهم وهي تضيف:

- كان بالتزامن مع ظهور سليمان، وظهور ابراهيم اللي هو ابن أخو سليمان، وهو برضو اللي بيجر رجل البنات للمكان ده.

لم يبد أن أحدا فهم تلك النقطة، أو علاقة ابراهيم وسليمان بحالات الانتحار، أو سبب الانتحار لا شيء واضح، لاحظت مريم تلك النظرات الفتعجة على الوجة لتوضح حديثها أكثر:

- الجماعة دي عندها أعياد بيكون فيها طقوس كثير، زي الاستحمام بالدم وغيرها من الطقوس المقرفة، فعشان كده بيحتاجوا أضحيان كثير ياخدوا منها دم، وكانت فكرة سليمان بدل ما يقتلوا أشخاص ويحصل مشاكل، يستخدموا البنات في المدرسة، وكان ابراهيم هو السنارة اللي بتجيب ليهم البنات، بيصاحبهم ويخدعهم ويجرهم هنا، وبتتهدد أنها لو نطقت بكلمة هتقتل، وطبعا هما بيقدروا يرهبوها بطرقهم الخاصة، وبيستمروا يسحبوا منها دمها مرة بعد الثانية، لغاية ما يقرروا أنهم خلاص محتاجين غيرها، والبنت دي بيكون وقتها خلص، في البداية كانت البنات دي يا ما بتنتحر من نفسها أو بتتجن، لغاية ما...

ابتلعت ريقها وهي تنظر ارضا وذكريات سوداء تحيط بها من جميع الجهات، اصوات شهقات، وصرخات لصوت مألوف ترن في أذنها، هبطت دموعها بعنف شديد وهي تضيف من بين شهقاتها:

- لحد ما جه وقتي، وجه حظي إني وقعت في أيد ابراهيم، وقدر يخدعني إنه بيحبني وهيخرجني من هنا ونتجوز أنا وهو، وصدقته بالفعل، لغاية ما فيه مرة سمعته بيكلم سليمان وبيقوله على أنه جاب البنت الجديدة، واتكلم معاه على اللي هيعملوه فيا، وقتها أنا خوفت وعرفت اني خلاص هموت، لولا اختي التوأم.

- اختك التوأم؟!

كانت تلك همسة خرجت من فم هند المتعجبة،

فمريم لم تأت يوماً على ذكر توأم، أو حتى تحدث أحد في الأمر سابقاً، هزت مريم رأسها بنعم وهي تقول بندم يقتلها بالبطيء:

- أيوة اختي التوأم اللي ضحيت بيها عشان أنقذ نفسي وبعثتها مع ابراهيم على اساس تتكلم معاه في موضوعي أنا وهو وحصل اللي حصل وبعدها عرف منها ابراهيم أنها مرام مش أنا، وهددني أنه هيقتلني، لولا أنني اترجيته اعمل اي حاجة عشان يسبيني و....

- وبقيت الفلخصة.

هزت مريم رأسها بنعم وهي تشهق بصوت عالٍ والندم يأكلها، وجع إن قضت عمراً فوق عمرها ما تمكنت من وصف ذرة منه، تشعر وكأن أنفاسها تأبى أن تخرج، قلبها يخفق بقوة تؤلمها، ندمت وبشدة، هي ندمت منذ ذلك اليوم الذي وضعت به أول زجاجة سم لأختها، توأمتها الحبيبة، من ضحت بها بكل أنانية لأجل أن تحيا حياة بانسة كتلك.

نظر الجميع لبعضهم البعض يفكرون أن الأمور أضحت الآن واضحة أكثر، وما قالته لهم مريم فسر الكثير من الأشياء كالجروح الموجودة في أيدي البعض والتي تزداد بمرور الوقت، لكن السؤال الآن هل للنجاة من سبيل؟!

تحدثت هند بتساؤل أخير:

- طب وعلى أي أساس كانوا ييختاروا البنات دول؟!

هزت مريم رأسها بجهلٍ وهي تهتف من بين بكائها:

- معرفش، معرفش غير اللي قولته بس.

لكن لم يمنحها أسامة الفرصة لتناي بنفسها قبل أن يدرك جميع الخيوط حوله:

- والمديرة؟! ليها علاقة بكل ده؟! يعني هي شريكة سليمان؟!!

هزّت مريم رأسها بلا؛ وهي تتحدث بما تعلمه:
 - لا المديرة ملهاش أي علاقة بالمنظمة ولا تعرف عنها حاجة، سليمان بس اللي عارف وكان دايقا بيحاول يخليها تبعد عن أي حاجة ومتعملش مشاكل بسبب حالات الانتحار، بحجة إن سمعة المدرسة هتضيع، ومحدث هيتبرع ليها ثاني، وهو مازال مستمر في اللي بيعمله، حتى إن بعض البنات بتقاوم الانتحار فبيضطروا لقتلها بشكل بشع.
 تحدثت عفاف وهي تبكي بخوف مما سمعت وما ستراه:

- أنا خايفة اوي، دول مش بيخافوا من حاجة.
 كان كل واحد منهم يحيا جحيمة الخاص، الرعب ثمكن منهم خاصة بعدما سمعوا كل تلك الأحداث من فم مريم، وعرفوا إلى أين قد يصل هؤلاء الأشخاص، الأمر معقد أكثر مما توقعوا، الأمور تتعقد، والنهاية تقترب، لا أحد يعلم القادم، الجميع مرتعب من أن تخطو أفكاره لتلك النقطة التي تتعلق بما سيحدث لهم.

همس جلال وهو ينظر لأسامة بجدية:

- هنعمل ايه يا قائد؟! هنموت كده بسهولة؟!
 رمقه أسامة بنظرة غامضة قبل أن يهز رأسه ببطء وهناك بسمّة صغيرة ترتسم على فمه، وكاد يتحدث بشيء، لولا ذلك الباب الذي فُتح ليدخل منه ابراهيم وهو يرتدي معطف طويل أسود ويغطي جزء من وجهه بوشاح من نفس اللون وفي يده يمسك سكين ذات نهاية ذهبية، يبتسم بسمّة مخيفة وهو يردد:

- اتمنى تكون حكاية مريم نالت اعجابكم.

بأدله أسامة البسمة وهو يقول بسخرية:

- مش واسع البتاع اللي أنت لابسه ده؟! مخلي شكلك يعر الحقيقة.

ابتسم ابراهيم بسمة جانبية وهو يتحرك صوب مقعد أسامة يقف جواره بهدوء شديد، قبل أن يرفع يده ويباغت أسامة بضربة عنيفة على خده بالسكين، أدت لحدوث جرح صغير سطحي، ارتفع على أثره صرخات الجميع حوله.

أغمض أسامة عينه ثواني، قبل أن يفتحها ببطء وهو يقول باستفزاز:

- معلىش هي كده الحقيقة بتوقع، فكرك الضربة دي هتخليني اغير رأيي؟! لسه عزة برضو.

انطلقت ضحكات ابراهيم وهو يردد بينما ارتفع حاجبه في تزامن ساخر مع التواء طرف فمه:

- رأيك ده آخر شيء يهمني.

تحرك ابراهيم بعيداً عن الجميع وهو يقف في مكان بحيث يكون ظاهراً لهم، ثم رفع خنجره وهو يردد بعض الترنيمات الغربية التي جعلت الجميع يرمقه بعدم فهم، فهو يتحدث بلغة عجيبة لم تتناه لمسامع الجميع يوماً.

تمتم جلال بجهل ورعب:

- هيسخطنا قرود ولا ايه؟!

فتح ابراهيم عينه وهو ينظر لوجوه الجميع، ثم ابتسم بسمة مقبنة وهو يقول بصوت حاد:

- ها نبدا بمين؟!

كان سؤالاً بسيطاً أحاط بالباقية الفتبية من رباطة جأش عفاف التي بدأت تتحرك برعب في مكانها بينما هند تُغمض عينها وهي تهتز بحركات

بطيئة مرتعبة مما سيحدث، تحاول تهدئة نفسها للتفكير، وجلال كان ينظر حوله بعين دامعة، لا يصدق أنها النهاية، بينما مريم كانت عيونها تمتلئ حقد وكره وكل ذلك موجه لإبراهيم الذي تحرك صوب أسامة الذي كانت ملامحه جامدة يأبى أن يظهر خوفه أو أن يظهر اهتزازة الداخلي.

توقف إبراهيم أمام أسامة وهو ينحني صوبه هامساً في أذنه بصوتٍ ساخر:

- مش قولتلك يا زميلي المدرسة دي غريبة وفيها حاجات غريب

ولم يكمل إبراهيم كلمته بسبب أسامة الذي عاد برأسه للخلف، ثم ضربها في خاصة إبراهيم بعنف شديد جعله يرتد للخلف وهو يمسك أنفه صارخاً بوجع، وفي ثوانٍ نهض أسامة بمقعده وهو مازال مُقيّداً به، يتحرك به في الغرفة يستغل صراخ إبراهيم المتأوه قبل أن يضربه بمقعده الخاص لتعلو صرخاته أكثر، ثواني فقط مرت حتى امتلأت الغرفة بالرجال الذين تحركوا بسرعة صوب أسامة، لكن بمجرد تحركهم من أمام هند، حتى مدت قدمها مما أدى لوقوع أحدهم على آخر.

ابتسم أسامة بسمّة خبيثة وهو يضغط على يده في حركة معروفة ثم غمز لعفاف وهو يقول لها:

- وقتك يا فوفا.

ابتسمت عفاف بسمّة مكرّة خبيثة وهي تنتفض من مقعدها بعدما خلصت يدها بيسر، كما اعتادت دائماً، فهذه موهبة أخرى إلى جانب صنع أصابع المحشي، وتقطيع الطماطم.

أمسكت عفاف المقعد الخاص بها وهي تلقيه على أول رجل قابلته، ثم تحركت بسرعة صوب هند تفك يدها وهي تراقب بعينها مجرى المعركة بين أسامة

المقيد والرجال، الذين أمسكوا به، وإبراهيم الذي يقترب منه بسكينه.

فتحت عفاف عينها بفرع وهي تترك قيد هند قبل أن تكمل فكه، تركض صوب أسامة، تجذب إبراهيم من معطفه الاسود، ثم وبحركة متقنة مدت يدها تلف الوشاح حول رأسه وهي تكاد تخنقه.

استطاعت هند أن تحل قيدها وهي تنهض بشراسة كبيرة تتوعد للجميع بالويل، بسبب الفعاملة الفظة التي نالتها منهم تاركة جلال ينظر لهم بترقب شديد وهو يفتح فمه فتعجب من تلك المعركة المشوقة، نعم هم حمقى، لكن يعلمون جيدًا كيف يدافعون عن أنفسهم.

وجد جلال هند تتجه صوبه وهي تفك وثاقه بجديّة كبيرة وهي تهمس:
- قوم يا جلال ساعدنا.

- أنت بتفكيني ليه؟! أنا مش عايز اتفك يا ستي.
رمقته هند بشر قبل أن تهمس له بشراسة مخيفة:
- هتقوم وتضرب معانا بدل والله أحسبك من الاعداء وادور فيك الضرب زيك زيهم؟!
- فك يا هند فك مفاصلك، أنا عارف مش هطلع سليم من الحوار ده.

انتهت هند من فك وثاق جلال، ثم تحركت بسرعة صوب مريم وهي تقول بجديّة كبيرة أثناء فك قيدها:

- عارفة طريق الخروج صح؟!

هزت مريم رأسها بنعم وهي تنظر لها بامتنان شديد وقد بدأ الأمل يعيد لوجهها بعضًا من الدماء التي كانت قد انسحبت في خضم ما مرت به، منذ مجيء إبراهيم لها بالصباح وأخبرها ألا تتناول

العشاء وتنتظره في مكانهم الخاص، وهي من وقتها تشعر أن نهايتها قد اقتربت، انتهت هند مما تفعل وهي تترك مريم متجهة صوب عفاف التي كانت تصرخ بعنف بسبب إمساك أحد الرجال لها من شعرها بعنف شديد يجزأ جزأ على الأرض، بينما عفاف تضع يدها على يده وهي تحاول تخفيف قبضته على شعرها وصراخها يعلو في المكان.

انقضت هند على الرجل الذي يجذب عفاف وهي تصعد على ظهره تجذب رأسه بعنف حتى كادت تكسر رقبتة مرددة بغضب جحيمي:

- بتستقوى عليها يا حثالة الرجال؟!

أنهت حديثها وهي تضغط بأصابعها في عيني ذلك الرجل، حتى كادت تفقأهما له، لولا أن ذلك الرجل تدارك الأمر وهو يسحبها بعنف ملقيًا إياها بقوة أرضًا، لتشعر هند بجسدها يرتطم بأحد ما، والذي لم يكن سوى جلال الذي على صياحه في المكان.

كان أسامة بعدما فكت عفاف وثيقة منذ بداية المعركة وهو يمسك بإبراهيم يوسعه ضربًا بكُل ما يمتلك من قوة؛ انتقامًا لكُل فتاة راحت ضحية قذارته هو ومن معه.

نظرت هند حولها لترى أن أعداد الرجال تتزايد في الغرفة، ولم يكونوا مجرد رجال فحسب، بل هم أقرب للوحوش بتلك الهيئة الفرعية لهم، جسدها يقشعر كلما دققت النظر بهم.

تقف في أحد أركان الغرفة لا أحد يهتم بها، أو ينتبه لها حتى، الجميع يتكالب على أسامة ومن معه، النجاة خلفها، والانتقام أمامها، أيهما تختار؟!

ابتلعت مريم ريقها وهي ترى الخنجر الخاص بإبراهيم يستقر أرضًا جوار قدمه، دخولها في وسط المعركة للحصول عليه يعني احتمالية اصابتها، إن

لم يكن موتها، ترددت مريم وهي تبتعد عن كل ذلك تتحرك صوب الخارج تاركةً الجميع خلفها، فتخلية تمامًا عن فكرة الانتقام، فقط تنجو بحياتها التي ضحت من أجلها بكل ما تملك.

كانت تمسح دموعها بعنف شديد وهي تركض في الممرات التي تحفظ بعضها، تشغل بالأرض تتحرك أسفلها وأصوات صراخ تصل لها، أصوات لكل من رحلوا على يدها، أصوات صراخ منار كل ليلة، صوت بكاء اختها بسبب جروحها، نظراتها التي تقتلها كل ليلة وهي تخبرها بعينها أنها السبب، قبل أن تقتلها هي بكل دم بارد.

توقفت مريم فجأةً وهي تتنفس بعنف من بين شهقاتها، تضع يدها على صدرها تحاول تنظيم تنفسها، قبل أن تنتبه لنفسها وقد شعرت أنها تعمقت في القبو بدلًا من الخروج، ابتلعت ريقها برعب، متحركة بأرجل مرتجفة عكس الاتجاه الذي كانت تركض به، تكمل ركضها بكل ما تملك من قوة قبل أن تتوقف فجأةً وهي تستمع لصوت صراخ عالي قادم من أحد الاتجاهات، صوت فتاة تصرخ، جعلها تتوقف وهي تعود ادراجها ببطء شديد صوب بوابة الصراخ؛ لتجد أنها تقف أمام غرفة تحوي أحد الرجال ومعه فتاة ويقوم بممارسة ساديته عليها، يعذبها مستمتعًا بما يفعل، معتبرًا ما يفعله طريقة لتقديس الشيطان، وطاعته بفعل كل فاحشة عرفها الإنسان يومًا.

لم تشعر مريم بنفسها وهي تمسك صخرة كبيرة من الأرض الترايبية ثم فتحت الباب ببطء، تتجه داخل الغرفة بخطوات حذرة لم ينتبه لها الرجل بسبب صرخات الفتاة التي بدأت تلفظ أنفاسها الأخيرة، توقفت مريم خلفه مباشرة قبل أن تهوى

بالصخرة على رأسه بعنف، ليسقط أرضاً وتنكب هي على ضربه بكلِّ حقد وكره امتلكته يوماً، حتى وجدت الدماء تنفجر من رأسه لتستيقظ فجأة مما كانت به وهي تشهق بعنف مُتراجعة للخلف برعب، تنظر ليدها برعب، تركض من الغرفة بسرعة كبيرة قبل أن ينهض مُجدداً، ولا تعلم أين تأخذها قدمها، فقط تركض وتركض.

لم تشعر مريم بشيء بعدها سوى وهي تركض في ممرات المدرسة برعب بعدما خرجت من ذلك القبو الخانق، لتجد أن المدرسة ممتلئة برجال الشرطة ومعهم المديرية وحالة من الهرج تعم المكان، لتنطلق صرخة من فمها دون شعور وهي تركض صوب الجميع بهلع مُشيرة للجهة التي أتت منها:
- هيقتلوهم، هيقتلوهم كلهم.

أتعلم تلك اللحظة التي تجلس فيها رفقة نفسك وأنت تردد بلهفة هي أقرب للبلاهة " أن الأمر انتهى " انتهى ذلك الشيء الذي ظننت يوماً، أنه لن ينتهي، حتى وإن انتهى، فلن ينتهي كما تمنيت، لكن كالعادة كرم الله أكبر من كل شيء، وها أنت تجلس مع نفسك وأنت تحاول معرفة كيف انتهى ذلك الأمر كما تريد.

تنهدت هند وهي تستند برأسها للخلف على مكتبها الحبيب ترتاح على مقعدها الذي اشتاقتها، رغم أن ذلك المعقد في مكتب الأخصائية الاجتماعية مريح أكثر من ذلك، لكن لا يسعها، سوى أن تشتاق لذلك المقعد الذي يتسبب الكسر الجانبي به في ألم خصرها عند الجلوس لفترة طويلة.

ابتسمت بسمة صغيرة وهي تُعيد ما حدث منذ ساعات معهم، فعندما اشتدت المعركة بهم وكثر

الرجال وعمّ الهرج، بدأوا يتساقطون واحداً تلو الآخر، وأولهم عفاف التي تلقت ضربةً في رأسها أدت لسقوطها أرضاً دون مواصلة القتال، وجلال الذي تلقى طعنة بدلاً من أسامة في كتفه، وأسامة الذي تعرض لكسورٍ في عظامه، هي فقط من خرجت دون جروح سوى بعض الخدوش الصغيرة، وها هي تنتظر في مكتبهم الخاص ريثما ينتهون من معالجة جروحهم في العيادة الملحقة بالمنظمة.

همست في نفسها بشكر كبير لمريم التي لولاها لما تمكن الجنود الذين استدعاهم أسامة من خلال جهازه الفتصل بساعته من إيجاد المقر الذي يكمن أسفل المدرسة، فثناء القتال وجدوا فجأة القبو يمتلئ برجال الشرطة الذي اتفق معهم أسامة يوم وضع الخطة، وتم سجن العديد والعديد من الشباب الذي تم سحبهم بشكلٍ أو بآخر لذلك الكمين العقائدي، لكن للأسف الشديد المدير الرئيسي هرب مع رجاله، ولم يمسكوا سوى بسلامان وإبراهيم، وأيضاً مريم، تلك الصغيرة التي سلمت نفسها للشرطة وهي تعترف على نفسها.

زفرة صغيرة خرجت من فمها وهي تشفق وبشدة على مريم، رغم كلّ ما فعلته، لكنها تتذكر بكانها وهي تردد، أنها كانت ترحمهم من عذاب كبير، كانت تساعدتهم للتخلص من عذابهم، وهي لم تجبرهم، بل فقط تضعهم على أول الطريق وهم من يختارون، أما أن يكملوا، أو يتوقفوا عن السير.

خرجت هند من أفكارها وهي تسمع صوت الباب يفتح، يتبعه تأوهات عالية من عفاف التي كانت تتمسك برأسها وهي تدخل مرددة:

- اه يا نافوخك يا عفاف، يا اللي مش مكتوبلك تخرجي من مهمة سليمة يا ختي.

تحرك جلال خلفها وهو يمسك بكتفه قائلاً بوجع وهو يكاد يبكي:

- أنا لو مترقتش وبقيت قائد، هروح فيكم في داهية.

نظرت له هند وهي تهمس بسخرية:

- عشان سكينه اخدتها بدل القائد، هتبقى قائد؟!

- أنا مخدتهاش بداله، ده أنا وقعت بالغلط قدامه فجات فيا.

أنهى حديثه وهو يمسح كتفه برفق، بينما هند ضحكت بعدم تصديق، وهي من ظنته ضحى بنفسه، ذلك الغبي أخذ الطعنة بالخطأ؟!

أشار جلال بذراعه السليم نحو الطاولة المجاورة لعفاف وهو يقول مشيرًا لحلقه:

- ناوليني يا عفاف ازازة الماية دي، لأحسن ريقى نشف من الزعيق في المجرمين.

اخرجت عفاف صوتًا ساخرًا من فمها وهي تردد حديثه:

- من الزعيق، ولا الصريخ؟!

- صريخ؟! صريخ ايه؟! أنت ماشوفتنيش وانا بزعم في المجرمين؟!

- لا أنا شوفت وانت بتصرخ زي البنات.

تدخلت هند في الحوار وهي تردد باستنكار شديد:

- ومالهم البنات بقى يا ست عفاف؟! يعني هو

مفيش غير البنات بس هي الكائنات الوحيدة اللي بتصرخ عشان تشبهى أي حد بيصرخ بيها؟!

تفاجأت عفاف من هجوم هند وهي تردد بعدم فهم:

- يا بنتي ما هما بيقولوا كده على طول.

- مين اللي بيقول كده؟! وبعدين هو أي حد يقول كده هنقول زيه، وننشر سياسة إن البنات ضعيفة ودائما تصرخ وتعيط، وكان الرجال مش بتعيط؟! هذه المرة كان التدخل من نصيب جلال الذي قال باستهانة شديدة لحديث هند:

- فعلاً الرجال مش بتعيط يا هند؟!

- معنى كده إنك مش راجل؟! لأن ما شاء الله من وقت ما نزلنا القبوده وأنت مبطلتش عياط. صدم جلال من رد هند ولم يستطع الرد بشيء، لتبتسم هند وقد ارضتها نتيجة نقاشها، وأتت بثمارها، واسكتت جميع الألسنة التي اجارت يوماً على حاملي نون النسوة.

ابتلع جلال الإهانة وهو يقول بحق وتذمر:

- هاتي الازازة يا عفاف خلصيني.

- مش قادرة تعالى أنت خدها، مش شايف راسي ولا اتعميت؟!

- وايه دخل راسك بالازازة؟! أنت هتباصيها براسك ولا ايه؟!

لم تُجبه عفاف وهي تضم يديها لصدرها بحق، ليبرم جلال شفثيه وهو يتمتم بتذمر شديد بينما عينه تلقي بنظرات غيظ للفتاتين، قبل أن يدخل أسامة المكتب يتحدث ببسمة فخر:

- القائد عايزنا في مكتبه

خرج الأربعة من المكتب وهم يسرون رؤوس مرفوعة والجميع حولهم يصفق لهم، الأصوات التشجيعية تعلو من حولهم، والفخر يملئ صدور الأربعة، لا أحد يصدق أنهم وأخيراً أثبتوا أنفسهم، أصبحوا ذو شأن بين الجميع بعدما كانوا أضحوكة لكل من بالمنظمة، ها هم يصطفون لعمل ممر

شرفي لهم، يصيحون مشجعين، وهم في منتصف الممر يسرون بكل كبرياء بالحركة البطيئة كما لو أنهم في أحد الأفلام، قبل أن يفسد ذلك المشهد كله تعرقل جلال وسقوطه أمام أسامة فتسببًا في سقوط أسامة هو الآخر، ليضربه أسامة بقدمه وهو ساقط أرضًا بغيظ:

- يا أخي بقى ما صدقت مرة ظبطت معايا.

نهض أسامة بغيظ وهو يعدل من وضعية ثيابه، ثم تحرك ليجد أن عفاف وهند مازالوا يسرون بالحركة البطيئة، لكنه صرخ بهم وهو يضرب كف بكف:

- خلاص يا اما أنت وهي الدخلة باظت اتنيلوا امشوا عدل.

دخل الأربعة لمكتب القائد ووقفوا أمامه ببسمة فخورة.

- مبارك عليكم نجاح المهمة يا سيادة المحقق.

جلس أسامة في المقعد المستقر أمام قائده بكل خيلاء وهو يرد عليه ببسمة واثقة، رغم شعوره في البداية بالريبة من تلك المهمة:

- ده أقل شيء نعمله يا فندم أنا وفريقي، وكمان ده احنا كده اتأخرنا، بالك لو كنا في فورمتنا كنا خلصنا المهمة من أول يوم وماخدناش الوقت ده زي ما حصل .

ونظرة مديره انبأته أنه لا يصدق ما يقول، حسنا هو أيضًا لا يصدق ما ينطق به، هو حتى لم يكن يتخيل أن ينهي المهمة بهذه السرعة، أو أن ينهي المهمة حتى رفقة "سرب البط البلدي" خاصته، لكن ها هي الحياة تفاجئه بتدابيرها.

افاق أسامة على حديث مديره والذي لم يستمع منه شيء سوى اسم مديرة المدرسة:

- مالها المدير؟! مش ثبت أنها ماكنتش تعرف أي حاجة، وإن الوكيل هو اللي ورا كل ده؟!
- كنت بقولك إنها بتشكرك على اللي عملته لمدرستها.

تلك المرأة غريبة، غريبة بشكل غريب، رغم عدم مشاركتها في تلك الجرائم، إلا أنها لم تتقدم يوماً بشكوى ضد ما يحدث في مدرستها، أو تظهر حتى تعاطف أو خوف لما تراه يومياً من حالات انتحار وموت غريبة، ورغم تخمينه السابق أنها أول مُتهم في هذه القضية، إلا أن تخمينه خاب، وها هي مقولة " أول من يشك بأمره هو غالباً برئ " تثبت صحتها، ابتسم أسامة وهو ينهض يُصافح مديره الذي رمقه بفخر يقول له:

- كنت قد ثقّتي بك يا عو.

- شكراً لحضرتك يا فندم، بس أنا عارف إنك مش واثق فيا ولا في فريقى.

- دي حقيقة فعلاً، بس أنت غيرت رأيي في الموضوع ده، تقدر تاخذ إجازة مع فريقك واستعدوا للي جاي.

خرج الجميع من المكتب وتحركوا صوب مكتبهم بسعادة كبيرة، لا يصدقوا أن الأمر انتهى وبنجاح ساحق كهذا.

بعد ساعة من كل ذلك:

كان الكل في المكتب مُنشغل فيما يخصه، فها هو جلال يستغل وجود هاتف المكتب يجري اتصالاته العديدة؛ حتى يتحصل على هاتف جديد، وهند تنظر في مجلة أمامها بكل اهتمام، بينما عفاف ترسم على ورقة فارغة أمامها، قبل أن ينتفض الجميع فجأة على صوت فتح الباب بعنف ودخول أسامة

المعروف وهو يفتح يديه يقول بثقة:

- مبارك عليكم يا رجاله ويا ستات نجاح المهمة.
- رمقه الجميع ثوان قليلة، قبل أن يعود كل لما كان يفعل، وعفاف تحرك شفتيها بحركة سوقية ساخرة:
- حاف كدة؟! ده بدل ما تدخل علينا بطبق حلويات مشكل، ولا دستة جاتوه حلاوة المهمة، بلا خيبة.
- التفت أسامة لها وهو يرفع لها حاجبه قبل أن يسمع صوت جلال وهو يقول بإصرار شديد:
- ها يا قائد هتجيبوا ليا تليفون جديد أمتى؟! - تليفون جديد؟!

- أيوة مش تليفوني باظ في مهمة قومية؟! يعني مصر مدينة ليا بتليفون جديد.

- وتقبل على نفسك يا جلال تاخد عوض من مصر؟!

ضدم جلال من سؤال أسامة الذي جعله ينظر أرضاً بخجل من نفسه، قبل أن يرفع رأسه وهو يقول ببسمة غبية:

- لا طبعا، خليها تدفعلي الفلوس وانا أجيبه بنفسى.

تجاهله أسامة وهو يقف في منتصف الغرفة يصفق بيده ليجذب انتباه الجميع، لتطلق عفاف زغرودة عالية وهي تشاركه التصفيق، وكأنهم في زفاف، توقف أسامة عن التصفيق وهو يرمق عفاف بعدم فهم لتقول هي بتعجب للنظرات الموجه لها:

- ايه مش أنت بتصفق عشان نجحنا؟!

مسح أسامة وجهه وهو يكتب بسمة مغتاظة وقد أدرك الآن أن "سرب البط البلدي" قد عاد بسلامة بعدما ظن لوهلة أنه تم تبديلهم في تلك المهمة، تحرك أسامة صوب عفاف، ثم توقف أمامها وهو

يقول ببسمة صغيرة:

- عفاف.

عضت عفاف شفتيها بخجل وهي تنظر أرضاً من طريقة نطقه باسمها بكل هذا اللطف، تدرك جيداً أنه حان الوقت ليكملوا الحديث المعلق منذ حبسهم في تلك الغرفة أسفل المدرسة:

- نعم؟!

همسة صغيرة خجلة جعلت طرف شفتي جلال ترتفع لأعلى وهو يميل على مقعده حتى يتضح له جسد عفاف الذي يخفيه أسامة، وهو يقف أمامها، بينما هند تنظر لهم ببسمة متأثرة وهي تهين نفسها لمشهد رومانسي.

- اطلعي برا.

جملة صغيرة خرجت من فم أسامة حطمت كل تلك الفراشات الوردية التي كانت تحلق في الجو حول الجميع، واسقطت عفاف من غيمتها القطنية الوردية، لتستقر على أرضية صخرية خشنة.

- نعم؟!

- بقولك اطلعي برا قبل ما اعمل حاجة تخلي هند تقتلني.

نهضت هند من مقعدها بعنف وهي تصرخ ملء فاهها:

- مين دي اللي تقتل يا عو؟!

صمت أسامة ثواني لم يكن يفكر فيها في إجابة لسؤال هند، بل كان يفكر في تلك الخطوة التي قررها سابقاً، اقترب من عفاف ثم قال يدعي التفكير:

- مش أن الألوان تكوني مدام عفاف بجد مش سخرية؟!

- قصدك ايه يا عو؟!

ابتسم لها أسامة يردد:

- تقبلي تكوني فرد جديد في آخر كلمة نطقتيها؟!

وكان الأمر أكبر من استيعاب عفاف، والجملة أصعب من قدرة عقلها على التحليل؛ لذا استمرت نظرة البلاهة على وجهها وهي ترمقه بعدم فهم، ليضحك بقوة وهو يقول:

- حاب المهمة الجاية تكوني فيها خطيبتى،

ينفع؟!

- طب ما أكون مراتك وخير البر عاجل.

أطلق أسامة ضحكات عالية وهو يلاحظ خجل عفاف من جملتها الأخيرة التي خرجت دون وعي منها، ليسمع الاثنين صوت زغاريد تنطلق في المكتب وقد تذكروا الآن وجود جلال وهند معهما.

ابتسمت عفاف بخجل شديد وهي تنظر أرضاً لتشعر بقرب أسامة منها وهو يهمس لها:

- دلوقتي هتترقي من فريق العو، لعائلة العو.

صمت وهو يرفع رأسه لباقي أفراد فريقه ثم قال وهو يبتسم بخبث:

- أعزائي " سرب البط البلدي "، اهلاً ومرحباً بكم في فريق العو، حيث لا مكان للأذكىء، ولا مجال للتفكير، حيث الغباء عنواننا، والمرح أسلوبنا، وما سبق لم يكن سوى البداية فقط، والان أعزائي دعونا نستمتع على طريقة " البط البلدي ".

أنهى أسامة حديثه وهو ينظر للجميع قبل أن يرى نظرات البلاهة تعلو وجوه الجميع بتفكير في سبب حديثه بهذا الشكل، وبهذه اللهجة، لكن أسامة لم يدع لهم الفرصة في التفكير وهو يقول من بين ضحكاته العالية يترجم لهم حديثه السابق بأبسط

الطرق:

- عندنا إجازة لغاية المهمة الجاية.

وعلى هذه الكلمات علت صيحات الثلاثة بانتصار وفرحة تحت أنظار أسامة الذي اتسعت ابتسامته، حتى انقلبت لضحكة، وهو يراقب حركات جلال الضحكة، وتعبيرات هند المستفزة لجلال، ونظرات عفاف للجميع حتى توقفت عليه بحب.

"سرب البط البلدي" قد يعده البعض سخرية، وقد يراه البعض تحقيقًا من شأنهم، لكنه يراه لقبًا مُنصفًا بعض الشيء، فهم كالبط البلدي، يتحرك بصعوبة بسبب أرجله القصيرة، ويتصرف بغباء أحيانًا، لكن في النهاية يبقى الكائن الألف والآنقى في كل الوجود، وكذلك هو فريقه، انقى ما اكتسبه خلال حياته كلها، وأعلى ما امتلك في مسيرته، اغمض أسامة عينه قليلًا وهو يستمع للشجار الذي اشتعل بينهم كالعادة، يفكر أن أمامهم الكثير حتى يتصرفوا كما البشر الطبيعيين، لكن للحق هو لا يرغب في ذلك، فهو عرفهم هكذا واحبهم وألفهم هكذا، رغم أنهم يخرجونه عن هدوءه في كثير من الأحيان، لكن لا بأس هو اعتاد وانتهى الأمر، والآن كل ما عليه هو الجلوس والاستمتاع بما يحدث والتفكير فيما هو قادم، فما حدث لم يكن سوى مجرد بداية في ألبوم مغامرات العو وسرب البط البلدي...

وللعو عودة

تمت

بحمد الله